تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة العثمانية الفترة الحديثة

أ/ رقية شارف

مقدّمة:

من دواعي الكتابة في موضوع "تشكل كيانات المغرب العربي في إطار الدولة العثمانية" أن الفترة الحديثة في تاريخ المغرب العربي لم تستوف حقها من الدراسة، ولا سيما الدراسة الشاملة، والتي تعتمد على دراسة المغرب العربي كوحدة حضارية؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فبالرغم ممّا بذله مؤرّخونا في هذا الموضوع، فهو لا يزال يستحق أكثر من دراسة معتمدة على المصادر العثمانية، والإسبانية، خاصة منها المحلية، والتي لم تستغل بعد كما ينبغي.

ولأهمية الفترة، وتميزها في تاريخ المغرب الإسلامي، باعتبارها مرحلة المخاض، والصراع الدولي في إطاره الحضاري بين العالم الإسلامي، والعالم المسيحي، وبالتالي فهي – أي الفترة- المعبر الذي عبر من خلاله المغرب الإسلامي من تمزق سياسي، إلى بروزه ككيانات مستقلة ذات حكم مركزي.

والطريقة التي اعتمدناها لدراسة هذا الموضوع هي تناولنا المغرب العربي كموضوع واحد وليس كل قطر على حدة، مبتعدين قدر الإمكان عن السرد التاريخي للأحداث، بل سلكنا منهج تقصي الأحداث ومقارنتها، وتحليلها لنصل في النهاية إلى الإجابة على الإشكاليات التالية:

تحديد واقع ومنطلقات الكيانات السياسية في المغرب العربي؟ وهل كانت هذه الكيانات السياسية تعتمد على نوعية تكون بنية المجتمع والدولة في كل قطر من أقطار المغرب العربي أم لا؟ ثمّ ما هي علاقة هذه الكيانات –إن وجدت– بالدولة العثمانية؟ وما علاقتها بأوربا؟ وأخيرا، ما هي نتائج تشكل كيانات الدولة من حيث الواقع الاستعماري، ومن حيث الأمة والتفسير التاريخي اليوم؟

يجب الإشارة إلى أن مصادر الموضوع كثيرة، ومتنوعة، انتقينا منها القائمة المشار إليها في هوامش هذه المقالة. كما نشير إلى أن وضع المغرب الأقصى كان وضعا متميزا بالنسبة للدولة العثمانية، ورغم ذلك لم ندرسه على حدة، وهذا راجع إلى طرحنا الموضوع طرحا حضاريا.

وموضوعنا المدروس ليس موضوعا قديما، بل هو موضوع الساعة، موضوع عصرنا المعاصر، حيث لا تقوم قائمة لمغربنا العربي، الموحد|المجزأ إلا إذا استفدنا من التجارب السابقة.

كما نتمنى أن يستفيد القارئ من هذه الوقفة التاريخية، وخاصة طلبة قسم التاريخ الذين يدرسون وحدة المغرب العربي الحديث.

تمهيد:

إنّ عملية استقصاء أوضاع المغرب العربي في مطلع الفترة الحديثة، لهي خطوة أساسية لتحديد واقع ومنطلقات الكيانات السياسية للمغرب العربي. إذ تميز هذا الأخير بوقوعه بين شقي رحى:

أولا: واقعه الداخلي الذي تميز بالتأزم والفراغ السياسي، فبعد انتهاء حكم الموحدين عام 260هـ/ 1276م، انقسم المغرب إلى ثلاث دويلات إقليمية[1].

تميز المغرب بشيوع البداوة، وثنائية السلطة، سلطة دينية، تمثلها الزوايا التي أصبحت قوى سياسية منافسة للسلطة السياسية التقليدية.

كما تميز مغربنا بالخمول الثقافي، والركود الفكري والجمود الاجتماعي، حيث أغلق باب الاجتهاد، وأصبحت المؤسسات الدينية عمادها التقليد في مهمتها التربوية، أو التعليمية، والدينية.

كما زادت الحروب والأوبئة والمجاعات والفتن المغرب العربي انهيارا ديموغرافيا، منذ مطلع القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر، حيث تعدلت البنية الديموغرافية للمغرب العربي بالهجرة الأندلسية، لا سيما بعد 1492م.

دون أن نستثني تحكم اليهود في الاقتصاد، وتحول الطرق التجارية مع السودان، نتيجة عدم استقرار الأوضاع بالصحراء، وسيطرة الدول الأوربية على السواحل الغربية لإفريقيا، كل هذا لم يزد اقتصاد المغرب العربي سوى انكماشا وتدهورا.

ثانيا: إذا كان هذا واقع المغرب العربي داخليا، فإن واقع العالم قد تميّز بالصراع الدائم بين قوتين سياسيتين وحضارتين متباينتين في العقيدة: قوة تمثلها الدولة العثمانية الحاملة لواء الجهاد الإسلامي، والمندفعة نحو أوربا الشرقية. وقوة الدول الأوربية الحاملة شعار الاسترداد المسيحي، متخذة لذلك ذرائع اقتصادية، وسياسية، لا سيما بعد النجاح الذي حققته خلال الكشوف الجغرافية، وتوحد إسبانيا عام 1492م، هذه الأخيرة والتي كانت مع البرتغال على رأس الدول الأوربية الحاملة للواء المسيحية. فاللاتوازن هذا بين الغرب الإسلامي (شمال لإفريقيا)، وجنوب أوربا سرعان ما عدل في إطار الصراع بين الشرق والغرب، أو ما سمي بالمسألة الشرقية، وذلك بالضغط العثماني على منطقة غرب المتوسط وتجسد ذلك في جهود الإخوة بربروس، خاصة عروج، وخير الدين، والعلج على، وصالح ريس.

فثنائية الصراع الدولي والتقاء المغرب العربي مع الدولة العثمانية في العقيدة، جعل المغرب يأخذ مكانه في هذا الصراع في صف الدولة العثمانية، كذلك دور المرابطين والأشراف، والمهاجرين الأندلسيين حمل لواء الجهاد في وجه الصليبية_ في إطار الدولة العثمانية_ جعل المشروع الإسباني_البرتغالي يعاني الضغطين، الضغط العثماني في أوربا، والضغط المغربي في شمال إفريقيا.

فما هي معالم أو مظاهر تشكل كيانات المغرب العربي خلال تطور العلاقات المغاربية_ العثمانية في مختلف مراحلها؟

- **مظاهر تشكل كيانات المغرب العربي- الإسلامي-:**

بدأت عملية تشكل كيانات المغرب العربي بإنقاذ وتوحيد البلاد على يد الأخوين عروج وخير الدين بربروسة اللّذين كانت جزيرة جربة منطلقا لجهادهما البحر، في غرب البحر المتوسط، وكذلك على يد الوزير سنان باشا، والقائد طرغود (درغوث) بالنسبة لتونس، وطرابلس الغرب (ليبيا).

نستطيع القول بأن العمليات البحرية الإنقاذية التي قام بها هؤلاء لمنطقة الغرب الإسلامي وضعت حدّا لفترة الفوضى والغموض الداخلي من جهة، وللأطماع الصليبية الخارجية من جهة أخرى منذ نهاية القرن الخامس عشر، إلى سنة 1529م، في الجزائر، وهي السنة التي تمكن فيها خير الدين من تحرير حصن البنيون (برج الفنار)، والذي ظل شوكة في قلب مدينة الجزائر فطرد منها الإسبان، وبنى رصيفه المشهور[2].

وإلى سنة 1553م[3]، بالنسبة لطرابلس الغرب حيث وقع الاتصال المحلي_ العثماني من خلال جهود القائد درغوث الذي خلص البلاد من حكم فرسان القديس يوحنا.

أما تونس، ففترة الغموض والفوضى وضع لها حدّ على يد الوزير سنان باشا الذي افتكها من الإسبان[4]. وأسر الأمير الحفصي محمد بن الحسن الذي حمله إلى اسطنبول، وعلى هذا الأساس أقام نيابة تونس عام 981هـ/ 1573م.

كما شهدت سنة 1574م، بالمغرب الأقصى تولى محمد المتوكل للولاية والذي تعتبر ولايته تمهيدا لعصر المنصور الذهبي.

تلك كانت بوادر تشكل كيانات المغرب العربي في إطار الصراع بين الشرق والغرب، والتي نلمس مظاهرها من خلال ما يلي:

أ/ الاستقلال والتبعية للدولة العثمانية: اتسمت طبيعة العلاقات العثمانية في كل قطر من أقطار المغرب العربي بنوع من التفاوت والتمايز، وإن اشتركت في نقاط عامة، وذلك مردّه إلى الظروف الداخلية لكل قطر.

- **في الجزائر ندرس الاستقلالية والتبعية من خلال أربع فترات:**

– مرحلة البايلربايات (1518_1588) تميزت ببداية ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية سياسيا وإداريا طواعية[5]. وكان خير الدين بربروس مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة باتفاق معظم المؤرخين[6].

وكان البايلرباي في الجزائر حاكم الإيالات الثلاث، ومنسقا مع الباب العالي، حيث شكلت الجزائر خلال هذا العهد_ عاصمة شمال إفريقيا في الدولة العثمانية، وجبهة صراع متقدمة في البحر المتوسط، لذلك سميت بدار الجهاد، ومن ثمة كان البايلربايات الموجهين الرئيسيين لسياسة الباب العالي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وما لاحظناه هو أن هذا التوجه كان يخضع بالدرجة الأولى لاعتبار حماية المنطقة، ورعاية مصالحها. إذ خلال هذا العهد وبخلاف العهود اللاحقة استطاعت الجزائر أن توفق بين موقفها

الاستقلالي في صياغة سياستها الغربية والمحافظة على علاقتها الوطيدة مع الدولة العثمانية، ومن مظاهر ذلك حصول فرانسوا الأول من سليمان القانوني، أثناء تحالفهما ضد شارلكان، على امتياز استغلال المرجان في الشرق الجزائري (القالة)، وذلك عام 1560م.

كما أدت الجزائر وعن طريق خير الدين دورا أساسيا في توطيد علاقة سليمان القانوني بفرانسوا الأول هذا الاخير الذي استنجد بسليمان القانوني ضد الملك الإسباني شارلكان، وهولندا وأمريكا اللاتينية [7]، ويمكن اعتبار دحر حملة شارلكان وصدها عن الجزائر عام 1541م، نصرا للعالم الإسلامي ككل، وليس للجزائر فقط.

أما في مرحلة الباشوات (1587-1659م)، فعدة عوامل جعلت العلاقات العثمانية_ الجزائرية تنفرج (تبتعد)، أهمها معركة الليبانت عام 1571م، واسترجاع تونس نهائيا من الحكم الإسباني، فتحولت الجزائر إلى ولاية عثمانية عادية تهتم أساسا بحماية الحدود الغربية للدولة العثمانية على غرار بغداد شرقا ولعل الفوضى والاضطراب في جهاز الحكم، وثورة الجند التي كانت خاتمة لهذه الفترة دليلا على الرغبة في الاستقلال السياسي والإداري عن الدولة العثمانية. فمرحلة الأغوات (1659-1671) تعتبر مرحلة انتقالية من التبعية المباشرة إلى الحكم المستقل عن الدولة العثمانية والذي تجسد في عهد الدايات(1671- 1830)، أطول العهود في تاريخ الجزائر الحديث، فلا أحد ينكر سنة 1711م كتاريخ لاستقلال الجزائر عن الدولة العثمانية سياسيا، ومن مظاهر هذا الاستقلال رفض الداي علي شاوش مبعوث الباب العالي إلى الجزائر وهو الباشا إبراهيم، بل ونجح الداي في اكتساب لقب الباشا الشرفي من الباب العالي، هذا الأخير الذي اعترف بسياسة الأمر الواقع، فأصبح الداي يجمع بين اللقبين والسلطتين، الداي والباشا، وبالتالي أصبحت الجزائر قوة حليفة للباب العالي، أكثر منها تابعة له، فإرسال الهدايا

لم يكن يعبر عن الحصول على الترسيم، بقدر ما كان يعبر عن الولاء للسلطان كخليفة للمسلمين[8].

ومن مظاهر السيادة الجزائرية أيضا استعمال رايات متعددة حسب شهادة الأسير الألماني كاثكارت في مذكراته في أواخر القرن الثامن عشر والذي ذكر أن الجزائريين يرفقون يوم العيد العلم التركي على قصر الداي، والعلم الجزائري على التحصينات، أما العلم الإسلامي فيرفع يوم الجمعة[9].

- **أمّا في طرابلس الغرب فندرس التبعية والاستقلال من خلال ثلاثة عهود بارزة:**

العهد العثماني الأول(1551-1711) حيث كانت طرابلس الغرب تابعة للدولة العثمانية مباشرة منذ أن خلصها درغوث من حكم فرسان القديس يوحنا الصليبي سنة 1553م، ومن طبيعة هذه الظروف، في هذه الفترة ما سمحت بسيطرة الجنود الإنكشارية، أما عن مظاهر التبعية للدولة العثمانية فهي مشاركة الأسطول الطرابلسي مع الأسطول العثماني في حصار جزيرة كريت سنة 1667م[10].

أما العهد الثاني، فهو العهد القرمنلي(1711- 1835)، تميز بالاستقلال عن الدولة العثمانية، ومن مظاهر ذلك عقد الأسرة القرمنلية معاهدات مع الدول الأجنبية رأسا دون الرجوع إلى القسطنطينية[11].

فإذا كان استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية، قد تمّ سنة 1711م، فإن الأمر بالنسبة لطرابلس الغرب كان غير ذلك، إذ ما فتئ أن انتهز السلطان محمود الثاني فرصة الصراع على الحكم داخل أسرة القرمنلي بالإضافة إلى تكالب الدول الأوربية على المغرب العربي _ لا سيما بعد احتلال الجزائر سنة 1830م.

ليلحق طرابلس الغرب بالدولة العثمانية منذ سنة 1835م. وهنا دخلت ليبيا في العهد العثماني الثالث (1835-1912م)، والذي تميز بتبعية ليبيا للدولة العثمانية، وهنا نقف عند عدم فعالية الحكم الوراثي في طرابلس الغرب، والذي لم يقد البلاد نحو الاستقلال عن الدولة العثمانية، بل ظلت الدولة العثمانية، ثم تركيا، وصيّة عليها، تتعامل مباشرة مع فرنسا في شأنها[12]. إلى أن وقع الغزو الإيطالي على ليبيا، وتوقيع تركيا لمعاهدة لوزان سنة 1912م.

- **تونس: وهي ثالث ولاية في المغرب العربي تنضم إلى الدولة العثمانية:**

إذ تم إعلان الحكم العثماني في تونس عام 1574م بناء على توجيهات اسطنبول، عكس ما حدث في الجزائر، كما سبقت الإشارة إليه[13]، تميز في تطور العلاقات العثمانية- التونسية، ثلاث مراحل:

المرحلة العسكرية للباشوات (1574-1594م)، لما كانت هذه المرحلة فترة قوة للدولة العثمانية، وكانت أوامر السلطان نافذة في تونس بعدما استند الحكم إلى الباشا الذي يسميه الباب العالي مباشرة[14]، وكان ضم تونس إلى الدولة العثمانية في هذه المرحلة تأمينا لظهر الدولة العثمانية[15]. لكن الضعف الذي عرفته الإمبراطورية منذ نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، والذي يتمثل في أزمة السلطة، قاد تونس نحو الاستقلال عن الدولة العثمانية. ومن مظاهر ذلك إبعاد الداي للإنكشارية خلال المرحلة الثانية، وهي مرحلة الدايات، كما أصبح الباشا ينتخب من طرف الديوان، ولا يعينه الباب العالي[16].

وإذا تميزت العلاقة التونسية- العثمانية بالارتخاء في عهد البايات المراديين فقد تدعم استقلال تونس أكثر منذ سنة 1705م، حيث الباي الحسيني مصدر القرار في حين الداي والباشا ظلت ألقابا تشريفيةفاعتراف السلطان العثماني

بطبيعة الحكم والاستقلال الداخلي لتونس مقابل تقديم هذه الأخيرة المساعدات العسكرية للدولة العثمانية، وكان ذلك في الحملة التركية على طرابلس سنة 1745م، والحملة على جزيرة كريت سنة1810م، وفي ثورة اليونان سنة1822م، حيث جهز محمود باي فرقة من الأسطول التونسي المؤلفة من تسعة مراكب[17]. وأخيرا معركة نافارين سنة 1827م.

العلاقات مع اسطنبول لم تتوقف عند حد الاستقلال بل توترت بعد سنة1835م، وذلك لموقف الرفض الذي وقفه بايات تونس إزاء إلحاق طرابلس سنة 1835م، من طرف الدولة العثمانية[18].

وحسب تحليلنا واستنتاجاتنا للأحداث أنه كان في نية الدولة العثمانية إلحاق تونس بها، على غرار ليبيا، في هذه المرحلة، لكن هذا لم يحدث، ومرجع ذلك قوة الحكومة في تونس على عكس ليبيا التي لم تقم الأسرة القرمنلية بدورها التاريخي فيها، مثل الأسرة الحسينية. هذا من جهة، ولضعف الدولة العثمانية في هذه المرحلة، والتي أصبحت أراضيها محل اقتطاع وتكالب الدول الأوربية في إطار ما يسمى بالمسألة الشرقية، من جهة أخرى.

وليس أدل على استقلال تونس بكيانها عن الدولة العثمانية من كون أن البايات الحسينيين كانوا يحررون اتفاقاتهم باللغة العربية، وليس باللغة العثمانية، ويعقدونها مباشرة مع القوى الاوربية[19].

- **المغرب الأقصى**: مستقل عن الدولة العثمانية سياسيا، لكن يعيش في إطار الثقافة الإسلامية التي تمثلها الدولة العثمانية. لذلك وجد في المغرب العربي في الفترة الحديثة حكمان، حكم السعديين في الغرب، وحكم العثمانيين في الشرق، ومؤسستان اجتماعيتان، ونظامان اقتصاديان[20].

لكن نشير هنا إلى الحكم العثماني للمغرب الذي كان يعبر عن طبيعة المنطقة أكثر من تعبيره عن النظام العثماني، وهذا ما يفسر استقلالية كيانات المغرب العربي لا سيما تونس والجزائر.

عدم تبعية المغرب الأقصى لاسطنبول لم ينف وجود تفاعل عبر عنه بالصراع تارة، وبالتأثير الثقافي تارة أخرى.

فالوطاسيون كانوا أكثر خضوعا لسياسة الباب العالي، ومن مظاهر ذلك الدعوة للسلطان العثماني على المنابر، وضرب السكة باسمه، لكن حكم السعديين عدّل الكفة، بل ورفض أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي الامتثال لأوامر السلطان سليمان، كما نفهم من كتابه (رسالته) له:" **لا جواب لك عندي حتى أكون بمصر إن شاء الله، وحينئذ أكتب لسلطان القوارب**[21].

ويكفي الاطلاع على الصراع السعدي العثماني من خلال الجزائر لنشير إلى عدم تبعية المغرب الأقصى للدولة العثمانية، رغم احتلال فاس سنة1554م، من طرف صالح رايس، بمعنى أن هذا الصراع لم ينته بإخضاع المغرب الأقصى، ولعل ذلك يعود إلى فقدان الدولة العثمانية اندفاعها منذ نهاية القرن السادس عشر، أمام تزايد قوة الدولة السعدية، لا سيما في عهد أحمد المنصور الذهبي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر.

أمّا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع عشر، فقد تطورت العلاقة بين الطرفين نحو الأحسن إذ تميزت بالتمثيل الدبلوماسي المغربي في الدولة العثمانية، ومرد هذا التقارب هو إحساس السلطان الحسن الأول بضعف دولته، وتكالب الدول الأوربية على المغرب الأقصى، كما لا ننسى دور الجامعة الإسلامية، ونضيف إلى ذلك شخصية عبد الحميد الثاني الذي كانت شخصيته إصلاحية، لكن ما تجب الإشارة إليه هو أن هذا التقارب سرعان ما أجهض بوفاة الحسن الأول[22]. وبالهجمة الشرسة

للاستعمار الأوربي الحديث على المغرب، ونستنتج أن شخصية عبد الحميد الثاني، وشخصية الحسن الأول، كان لهما الدور التاريخي في توطيد العلاقات بين البلدين، عكس الدور الذي قام به محمد الشيخ السعدي الذي ذهب إلى حد محالفة الإسبان ومهادنة البرتغال ضد الدولة العثمانية[23].

ومن العوامل التي نراها قد حالت دون تبعية المغرب الأقصى للدولة العثمانية، انفتاحه على التأثيرات الشرقية والغربية، وقربه من شبه الجزيرة الإيبيرية، وهو ما جعله دائما منطقة دفاع حتى وإن تعلق الأمر بالعثمانيين الذين هدفوا إلى جعله حليفا لمساعدة المورسكيين الأندلسيين، كذلك بعده عن مركز الخلافة أبقى عليه منطقة عازلة بين الصراع العثماني- الإسباني. لكنه لم يكن مستقلا فكريا عن الخلافة العثمانية الإسلامية، هذه النقطة التي طالما جهلها أو تجاهلها المؤرخون -لا سيما الغربيون- فالبعد الثقافي في العلاقات بين الدولتين نستشفه من خلال زيارات علماء وكتاب البلاط الملكي مثل زيارة علي بن ميمون المغربي الأندلسي في أواخر القرن السادس عشر، والحسين بن القاسم الدرعي وغيرهما. وكان هؤلاء يشدون الرحال إلى اسطنبول لغنى الحياة الفكرية فيها ووفرة الكتب بها[24].

ب/ الحكومة ومصادر اتخاذ القرار: تطور مصدر القرار في الجزائر في الفترة العثمانية- تبعا لتطور نظام الحكم والجهاز الإداري- بحيث نسجل تباعدا في المواقف والقرارات السياسية بين اسطنبول والجزائر مع اعتبار الخليفة رمزا للوحدة الدينية والسياسية.

شكل الديوان[25] في الجزائر منذ عهد خير الدين مصدر القرار، ففي فترة ما قبل الدايات كانت سلطة الديوان تنفيذية تسيطر عليها طائفة رياس البحر بحيث كان البايلرباي يتولى التنظيم الإداري والعسكري.

ثم تطورت وظيفة الديوان بتطور الحكومة إذ تحول مصدر القرار أو السلطة الفعلية في عهد الباشوات إلى ديوان الجند، مع بقاء الباشا كممثل السلطان لكنه خاضع لقرارات الجند.

وقد ظهر منذ مطلع القرن السابع عشر ديوانان: الديوان الصغير، وكان يتكون من الحاكم والآغا، والكاتب، والمفتي[26]. وقاضي الحنفيين، والضباط الساميين، وعدد أعضائه حوالي خمسين عضوا. أما الديوان الموسع أو الكبير، فهو يضم الضباط الكبار والموظفين الساميين، وممثلي الاعيان، والعلماء الجزائريين، دوره المصادقة على القرارات التي يصدرها الديوان الصغير.

ومع مرور الوقت فقدت تلك الدواوين صلاحيتها حيث أصبحت لا تعقد جلساتها كما هو الحال في بداية أمرها. وأصبح الداي يعتمد أساسا في تسيير شؤون البلاد على مجلس وزراء متكون من خمس قوى: الخزناجي كوزير مالية الدولة، وآغا العرب مهمته الإشراف على الأهالي، وخوجة الخيل كوزير للفلاحة- بمفهومنا المعاصر- ووكيل الخرج مسئول البحرية ووزير الشؤون الخارجية، وأخيرا بيت المالجي، ويساعد هؤلاء الوزراء في مهمتهم مجموعة كبيرة من الموظفين الذين عرفوا بالخوجات، كما كانت سلطة الديوان نافذة على البياليك[27].

دار السلطان: ومركزها الجزائر العاصمة، وهي مقر الحكم، ثم بايلك التيطري وعاصمته المدية، وبايلك الشرق، وعاصمته قسنطينة، وأخيرا بايلك الغرب، وعاصمته وهران.

كان الديوان يقوم بتثبيت أوعزل الباي في رحلة الدنوش التي يقوم بها السلطان، ومن خلال الباي كانت قرارات الداي نافذة على الأوطان والقبائل والدواوير.

الفكرة التي نخلص إليها كون الجهاز الإداري كان منظما، ومحكما، وكان وسيلة فعالة للحكومة الجزائرية التي كانت مصدر القرار، أشبه ما تكون بجمهورية، الحكم فيها شورى، مما حال دون ظهور الحكم الوراثي في الجزائر.

أما طرابلس الغرب فقد كانت قرارات الباب العالي نافذة فيها خلال العهدين العثمانيين، أما في عهد الأسرة القرمنلية[28] فكان أفراد الأسرة هم مصدر القرار، ورغم نفوذ هذه الأسرة الذي كان يشمل جل الأراضي الليبية الحالية، إلا أن الحكم كان غير فعال، والقرارات غير نافذة، ومرد ذلك هو التطلعات العثمانية من حين إلى آخر للقضاء على الأسرة.

أما في تونس، فكان البايات يختارون من الأسرة الحاكمة سواء المراديةأو الحسينية، وظل الباي مصدر القرار دون إلغاء منصب الداي أو الباشا.

لكن نلاحظ أن بايات تونس الأواخر لم يكونوا مصدر القرار سواء بالنسبة لسياستهم الداخلية، أو الخارجية، وذلك للتنافس الأوربي على تونس منذ نهاية القرن التاسع عشر، وعدم جدوى الإصلاحات التي قامت في تونس، لاسيما بعد انتهاء تجربة خير الدين الإصلاحية سنة 1876م، هذا من جهة، ومن جهة أحرى اضمحلال الدولة العثمانية التي لم تحرك ساكنا عند وقوع الحماية الفرنسية على تونس سنة1881م.

أما في المغرب الأقصى فقد كان وبقي الحكم فيه وراثيا، وكان الملك مصدر القرارات سواء في السياسة الداخلية للمغرب الأقصى، أو الخارجية، أو الدينية.

أما من ناحية إسهام الاحتكاك العثماني- المغربي في تطور جهاز الحكم فقد أجمع المؤرخون أن أحمد المنصور كان لديه مدربون ومستشارون من الأتراك العثمانيين في الترسانة الملكية وفي أقسام المدفعية، وهذا ما يبرر استعمال مصطلحات: باشا السباهي، وغيرها.

كما استفاد الجيش المغربي لأول مرة من استعمال الأسلحة النارية التي عممها الجيش العثماني في النصف الثاني من القرن السادس عشر[29].

ج/ العلاقات الداخلية والمجتمع: إن مفهوم الدولة في الأدبيات المعاصرة يتحدد بنوعية العلاقة بين جهاز الحكم والمجتمع، ففي تونس والجزائر نجد نفس البنية الاجتماعية بمعنى: كان المجتمع على شكل هرم مقلوب رأسه في الأسفل، وقاعدته في الأعلى، أقلية تركية وكرغلية، في الأعلى حاكمة، وأغلبية(الرعية) محكومة، مجتمع قائم على جدلية الريف بدأ يتزعزع ويبتعد عن تقاليد الماضي العريق، والتحول نحو تنظيم اجتماعي من خلال الاحتكاك بالمدينة التي كانت ذات طابع حضاري، ومتعددة الأجناس، فالجهاز الإداري الفعال استطاع أن يتحكم في العلاقة بين الفئات المتعددة في المجتمع، ويذكر حمدان خوجة قائلاً: "**حين تكونت في مدينة الجزائر مدينة قائمة على مبادئ معتدلة دعت إلى التفاهم لربط مصالح الاهالي بمصالح الأندلسيين**"[30].

فرغم استبداد العثمانيين إداريا، واقتصاديا، حيث كان سكان المدن الذين يمثلون خمسة بالمائة، يحتكرون خمسة وسبعين من الاقتصاد، في حين خمسة وتسعين بالمائة من سكان الأرياف يحتكرون نسبة خمسة وعشرين بالمائة من الثروات، إلا أننا لا نفهم هذا كاستعمار- كما فهمه وفسره الغربيون- بل عرفت المجتمعات المغربية خلال الفترة العثمانية اندماجا بطيئاً، أكسبها أسلوب حياة، بل بفضل العثمانيين ودور الكيانات المغربية -لا سيما الجزائر وتونس- انمج الأندلسيون ضمن الوحدة الإقليمية للدولة العثمانية[31].

كما استطاع البايات في تونس تأسيس أسرة وطنية محلية، فعالة بدليل الشخصيات التي اشتهرت في ظلها كمصطفى خزندار، وخير الدين، وغيرهم من ذوي الأصول المختلفة، بمعنى أنها وظفت الاختلاف أو التنوع في فعالية الجهاز الإداري.

أما ليبيا فالتفاعل بين الأتراك والسكان المحليين لم يحدث بدليل الثورات المتواصلة منذ سنة1587م، والتي أخذت طابعا وطنيا تحريريا، حتى قيل عن نظام السنوسيين أنه "حكومة داخل حكومة"[32]. فسياسة الإخضاع بالقوة التي مارستها الإدارة في طرابلس الغرب ضد السكان جعلتهم في حالة اللااستقرار،، وحملهم لمدنهم على جمالهم على حد تعبير أحد المؤرخين[33].

أما في المغرب الأقصى فالمجتمع لم يكن أحسن حالا، من المجتمعات المغربية الأخرى، إذ لم تعمل السلطة المركزية على ضبطه والذي كان مجتمعا قبليا، بل عملت على تهميشه، كما غيبت الاندماج بين قواه الفعالة، وكانت السيطرة الفعالة على مستوى علاقات الإنتاج لا على مستوى قوى الإنتاج للمخزن، بل كانت قوى الإنتاج محرومة حتى من الدورة الإنتاجية، خاصة في مجال الفلاحة والرعي[34].

الخاتمة:

من خلال عرضنا البسيط نستنتج ما يلي:

- بدأت كيانات المغرب العربي في التشكل انطلاقا من واقعها الداخلي المتأزم، والانحطاط العميق الذي ميز المغرب العربي بدون استثناء، خاصة خلال القرن الخامس عشر، ومن واقع الصراع الحضاري بين المسيحية والإسلام- لا سيما في غرب البحر المتوسط- فكان على شعوب المغرب العربي أن تختار بأن تكون مع الدولة العثمانية في إطار الخلافة الإسلامية، أو لا تكون، فاختارت تونس، وطرابلس الغرب، والجزائر الحل الأول، واختار المغرب الأقصى بقاءه خارج الإطار العثماني سياسيا، لكن متصل به فكريا، وحضاريا.

- كانت كيانات المغرب المدروسة تعتمد بنية اجتماعية متميزة نوعا ما في كل قطر من أقطار المغرب العربي، ومهما يكن الشكل الذي أخذه النسق الاجتماعي في العهد العثماني، فقد تميز بالفعالية، والتطور التدريجي

للمجتمع- لا سيما في الجزائر وتونس- فالمجتمع الجزائري مثلا لم يعرف النظام الإقطاعي إلا في عهد الاستعمار الفرنسي، وهنا يحضرنا قول حمدان خوجة الذي فضل ظلم الأتراك على عدل الفرنسيين، وهذا ما يسمح لنا بنزع فكرة الاستعمار عن الوجود العثماني بالمغرب العربي، كما قضى الكيان السياسي لدول المغرب العربي على مبدأ تقديس الأشخاص.

• أما نظام الحكم الملكي في المغرب الاقصى فقد أبقى على ركود البنية الاجتماعية، وأبقى على نفوذ الطرق الصوفية التي قلل الحكم العثماني من حدّتها في باقي دول المغرب العربي.

• علاقة الكيانات المغاربية بالدول العثمانية كانت علاقة حضارية، وروحية بدأت متينة، ثم انفرجت، ثم انفصلت، بعدما تكونت هذه الكيانات نهائيا، كانت علاقة ولاء أكثر منها تبعية، وبفضل هذه العلاقة أُبعد الاستعمار الصليبي عن المغرب الإسلامي.

• أما علاقة هذه الكيانات بأوروبا فكانت هذه الأخيرة تنظر إلى المغرب كعدو تاريخي وحضاري عقدت معه اتفاقات تجارية لما كان قويا، ثم أصبح منطقة قابلة للاستعمار من طرف هذه الدول نفسها منذ منتصف القرن التاسع عشر.

• ومن نتائج تشكل كيانات المغرب العربي: اكتساب دوله بطاقة التعريف السياسية أي تحديد الحدود التي طالما كانت محل خلاف بين الشعب الواحد، وسيادة المغرب العربي عبر عنها منذ سقوطه في الاستعمار الحديث.

• بروز الشعب المغربي كشعب يعرف بما له من حقوق وما عليه من واجبات، ومن خلال علاقاته وتفاعلاته مع السلطة الحاكمة، ومن خلال إحساسه وانتمائه الحضاري الإسلامي شعب رفض وما يزال يرفض الحدود

المصطنعة بدليل واقعه الاستعماري الواحد، وحركته التحريرية الموحدة، وهذا ما يؤكد لنا اضمحلال المغرب شكلا لا روحا عشية الاحتلال الغربي له.

• من حيث مفهوم الأمة فالشعب المغربي ينتمي وقبل الأتراك إلى الأمة الإسلامية_ العربية فهو عربي اللسان، وإسلامي العقيدة.

أما من حيث التفسير التاريخي اليوم فنقول بأن الشعب المغاربي يعيش اليوم نفس الظروف التي كان يعيشها عند مطلع القرن السادس عشر، فهو مهدد من طرف الصليبية الحديثة في عوامل اتحاده التي هي العروبة والإسلام، ومصيره مرهون بألاّ يظل يتأثر ولا يؤثر بل عليه أداء دوره التاريخي، ولا يكون ذلك إلا باقتران الدفاع عن الوطن بالدفاع عن الدين، لتكون فكرة الوطنية أصيلة.

الهوامش:

---

(1) الحفصيون في المغرب الأدنى (من طرابلس إلى نواحي دلس) (1229–1574م)، وبنوعبدالواد أو بنوزيان في المغرب الأوسط (تلمسان) (من إقليم الجزائر إلى منطقة ملوية) (1236–1554م)، وبنو مرين، ثم بنوالوطاس بالمغرب الأقصى(غرب ملوية إلى أقصى منطقة السوس) (1269–1549م). نشير إلى أن هذه الحدود لم تكن مستقرة إبل كانت في حالة مد وجزر إلى أن تشكلت الكيانات المغربية في الفترة الحديثة والتي من مظاهرها استقرار الحدود على ما هي عليه اليوم.

(2) مؤلف (مجهول)، **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليق، نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1353هـ/ 1934م، ص66.

(3) محمد (رفعت)، **تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية**، مصر، 1959م، ص313.

(4) أحمد بن أبي ضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، تونس، 1963م، ص20.

(5) محمد بن محمد التلمساني، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، نشره سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، رقم03، جويلية1967م، ص ص13–14.

(6) جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619_ 1830)**، الجزائر، ص23؛ مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص ص44_45.

(7) مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل 1830م**، ط1، قسنطينة، (1405هـ/ 1985م)، ج2، ص13.

(8) خليفة إبراهيم حماش، **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م**، رسالة ماجستير، التاريخ والآثار، القاهرة، 1988م، ص150.

(9) حماش، **المرجع السابق**، ص162.

(10) رفعت، المصدر السابق، ف17، ص313.

(11) **المرجع نفسه**، ص313.

(12) شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، الكتاب 03**، تر وتح ونق محمد عبد الكريم الوارفي، طرابلس، ليبيا، ص688.

(13) صلاح العقاد، **المغرب في بداية العصور الحديثة، د ت، د م ط، الفصل الخاص بنيابتي طرابلس وتونس**، ص50.

(14) حسين خوجة، **ذيل بشائر الإيمان بفتوح آل عثمان، تق وتح الطاهر المعموري**، ليبيا، تونس، 1395هـ/ 1975م، ص21.

(15) *Robert Mantran,* ***L'Evolution des relations entre la Tunisie et l'empire Ottomane ,du XVI au XIX siècle,T VII, année 1959****,Tunis, p320.*

(15) ***ibid****,p324*

(16) ***ibid****,p324*

(17) حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس من أقدم العصور إلى الزمن الحاضر**، تونس 1976م، ص193.

[18] ما يؤكد موقف تونس الرافض لإلحاق طرابلس بالدولة العثمانية سنة 1835م، هو عدم إرسال التونسيين عام 1876، أثناء المعركة الروسية- العثمانية سوى النقود والخيول، وكان ذلك تحت ضغط خير الدين التونسي.

أنظر *Robert Mantran ,**Ibid**, p331.*

[19] *,Ibid, p331. Robert Mantran*

[20] *LarouiAbdellah, **Histoire du Maghreb**, T1, Paris,1970,pp235,236*

[21] أبو العباس أحمد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح، وتع، وكذا المؤلف، الدار البيضاء، 1954م، ج5، الدولة السعدية، ص32.

[22] محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول(1873-1894م) (1290-1311هـ)**، إشراف، أبوالقاسم سعدالله، الجزائر1985م-1986م ص ص 186-187.

[23] محمد العربي الزبيري، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، الجزائر**، جانفي، 1985م، ص22؛ *Yamilé Bouabha « Les Turcs au maghreb centrale du 16eme au » Alger, 1972*

[24] عبد الجليل التميمي، " تاريخ العلاقات الثقافية بين اسطنبول والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث" **المجلة التاريخية- المغربية**، ع43- 44، نوفمبر، 1986م، تونس، ص 97-99.

[25] الديوان: بنية إدارية مقتبسة عن الدولة العثمانية، وهو يمثل عنصر تجديد وتطوير في المجتمع الجزائري.

[26] مهمة المفتي جد مشرفة في الدولة، فهو يقوم بشرح القوانين المختلفة للناس مشافهة أو كتابة. أنظر:

Venture De Paradis, Alger au XVIIIe siécle, **Revue Africaine,** Alger, 1995, p275-276

[27] قسمت الجزائر في الفترة الحديثة إلى أربعة بياليك من طرف حسن بن خير الدين عام 1556م.

[28] ينتمي أحمد القرمنلي مؤسس هذه الأسرة سنة 1711م، إلى أسرة تركية موطنها قرمان، هاجر جده إلى طرابلس الغرب، وتزوج مع بعض النساء الوطنيات، لذلك أصبح أبناؤه من الكراغلة. أنظر: العقاد، المرجع السابق، ص70.

[29] نلاحظ أن استعمال هذه الأسلحة كان له دور في نجاح الجيش المغربي في حملاته على السنغال والسودان الغربي في أواخر القرن السادس عشر.

[30] حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تق، وتع، محمد العربي الزبيري، ط2، الجزائر، 1982م، ص109.

[31] ميكال يبلز، "العثمانيون واندماج الأندلسيين المطرودين من إسبانيا في المغرب العربي خلال القرن 17"، **المجلة التاريخية المغربية**، ع31، 32، 1983م، ص522.

[32] رفعت، **المرجع السابق**، ص316.

[33] محمد احمد الطويل، "الحركات التحريرية ضد بعض الولاة العثمانيين بليبيا (1551-1911)" **المجلة التاريخية المغربية**، ع53-54، تونس، 1989م، ص110.

[34] الزين عبد الفتاح، "المغرب الماقبل استعماري، سيرورة مجتمعية (1631-1912)، **المجلة التاريخية المغربية**، ع55، تونس، 1989م، ص11.

البرلمان الفرنسي وقضايا الجزائريين خلال القرن التاسع عشر (19)

أ/حياة سيدي صالح

برز الاهتمام البرلماني الفرنسي بالجزائر منذ الفترات الأولى للاحتلال وتحديدا بعد ثلاث سنوات من الغزو، حيث أخذت الأمور في التأزم، مع ازدياد شكاوى الكولون تجاه تعسف القادة العسكريين وخدمة مصالحهم الذاتية[1]، وكذا استمرار الجزائريين في مقاومتهم بأساليب مختلفة بما فيها الأسلوب السلمي عن طريق العرائض والاحتجاجات. وقد دفع هذا الوضع بالبرلمان الفرنسي إلى التحرك في عدّة مناسبات لإيجاد السبل والطرق الكفيلة بحلّ هذه المشاكل والقضايا بما يخدم مصالح الاحتلال ويحافظ على المستعمرة.

وقد عرفت فترة الحكم العسكري إرسال عدّة لجان لتقصي الحقائق، حول حقيقة ما يحدث في الجزائر، تمثلت خاصة في اللجنة الإفريقية، وزيارتي نابليون الأولى في 1860 والثانية 1865، ثم لجنتي التحقيق الزراعية بعد الجائحة التي أصابت الجزائر خلال سنوات 1867 و1868 و1869، وعرفت فترة الحكم المدني هي الأخرى قدوم عدة لجان كانت أهمها لجنة جول فيري التي اشتهرت بلجنة 18.

لقد حاولت من خلال هذا العمل أن أسلط الضوء على حقيقة هذا النشاط وسعيت للوقوف عند الأهداف الحقيقية وراء اهتمام الحكومات الفرنسية خلال القرن التاسع عشر بإرسال هذه اللجان، وأردت توضيح دور

الكولون في الضغط على هذه اللجان من خلال استعمالهم مختلف الوسائل خاصة منها نوابهم داخل البرلمان، سعيا منهم إلى الحفاظ على مصالحهم.

فما هي أهم هذه اللجان البرلمانية خلال الفترتين العسكرية والمدنية؟ وما النتائج التي تحققت لها؟ وكيف كانت مواقفها تجاه قضايا الجزائريين (الأهالي)؟ وأخيرا ما موقف الجزائريين تجاهها؟.

1- **النشاط البرلماني خلال فترة الحكم العسكري ونتائجه:**

- **اللجنة الإفريقية:** هي لجنة تحقيق مهمتها معاينة الوضع في الجزائر، وتقديم تقرير يتضمن اقتراحات واضحة حول مستقبل الجزائر، وقد تلخصت أسباب تكوين هذه اللّجنة في مناقشة البرلمان الميزانية الخاصة بمواصلة الحرب في الجزائر، إضافة إلى الشكاوي التي كان يقدمها بعض الجزائريين المنفيين أمثال حمدان خوجة ضد تعسف الإدارة الفرنسية، وضغط الرأي العام الأوربي على فرنسا لتحديد موقفها من الاحتفاظ أو التخلي عن الجزائر[2]، خاصة بريطانيا التي عبّرت منذ الوهلة الأولى عن رفضها للاحتلال، وطالبت من فرنسا ضرورة توضيح نواياها من تواجدها بالجزائر، ولم يكن موقف بريطانيا هذا بدافع حماية الجزائر بقدر ما كان طمعا في الاستفادة من الامتيازات خاصة وأن هذه المرحلة كانت تشهد صراع الدول الأوربية حول الأسواق الخارجية كنتيجة للنهضة والثورة الصناعية.

على ضوء تقرير قدّمه وزير الحربية المارشال "سولت" (Soult) في 7جويلية 1833، وافق "لويس فيليب" على تكوين لجنة أصبحت تعرف باللجنة الإفريقية Commission Africaine وكان هدفها المعلن جمع معلومات عن حالة الجزائر، وتصور مستقبلها، وإيجاد حلول لمشاكلها[3].

شرعت هذه اللّجنة في أعمالها بمجرد وصولها في 2 سبتمبر 1833 برئاسة الجنرال بوني (Bonnet) وبمساعدة الكاتب بيسكاتوري (Piscatory)،

وإنطلقت في أعمالها في 3 سبتمبر 1833 وانتهت اللّجنة بعد دراستها طريقة التعامل مع الجزائريين إلى أنّ العرب لن يأخذوا عادات الأوربيين ولا تقاليدهم ولا حاجاتهم، وأنّهم لن يختلطوا بهم أبدا، كما أوصت بالتعامل مع بعض الحضر من الجزائريين الذين يرضون بالبقاء في المدن المحتلة.

تشكلت في 12 ديسمبر 1833 لجنة جديدة بعد أن عادت الأولى في 9 نوفمبر 1833، وكانت هذه اللجنة تتألف من تسعة عشر (19) شخصا، يترأسها الدوق "ديكازيس" (Decazes) عضو مجلس الشيوخ برفقة ثمانية من أعضاء اللّجنة الأولى، إضافة إلى أحد عشر (11) عضوا، منهم العسكريين والمدنيين[4]. وبعد ست وخمسين (56) جلسة أوصت اللجّنة بجعل الجزائر كلّها أملاكا فرنسية، والسماح لجميع الأجناس دون تمييز بالاستيطان بها، مع إعطاء الأولوية للمزارعين وأصحاب الحرف.

- **زيارتا نابليون 1860-1865:** سياسة الإمبراطورية II بزعامة نابليون الثالث لم تكن ترمي إلى خدمة مصالح الجزائريين. وإنّما الهدف منها هو خدمة مصالح فرنسا، وقد وضح ذلك الإمبراطور في رسالته إلى ماكماهون، والتي أبرز من خلالها أهدافه الحقيقية من محاولة استمالة الجزائريين، وأنّها لتقوية مركز فرنسا، وتوفير الأمن والسلام للجيش الفرنسي (الثروات)، وتدعيمه بالجنود الجزائريين الذين جرّبت فرنسا شجاعتهم في حروبها بالقرم وإيطاليا والصين والمكسيك، وخدمة الاقتصاد الفرنسي عن طريق استثمار ثروات الجزائر المحلية التي سينتج عنها "تاسيس حركة تجارية عظيمة لصالح فرنسا".

أما هدفه من الاهتمام بالزوايا، فليس لغرض تطوير التعليم العربي الإسلامي وإنّما إيجاد طبقة من "المخبرين والجواسيس"، تعتمد عليهم فرنسا في فرض رقابتها السياسية، والحيلولة دون قيام ثورات ضدها، ويكون منطلقها تلك الزوايا[5]. وقد اتضحت هذه السياسة جلية من خلال مواقفه خلال المجاعة

التي اصابت الجزائر في الستينات من القرن 19، ومنها مسألة تنصير الأطفال الجزائريين، وإقامة القرى الخاصة بهم، وكذا غضه النظر عن سياسة نهب ممتلكات وأراضي الجزائريين من قبل الكولون، ثم قانون السينانوس كونسلت (14 جويلية 1865) الذي يمنح فيه الجنسية لليهود دون إشتراط التخلي عن الأحوال الشخصية لهم، في حين يشترط على القليل من الجزائريين الذين سمح لهم بالتجنس ضرورة التخلي عن الأحوال الشخصية.

أصدر نابليون الثالث في 24 جوان 1858 قرار تكوين وزارة الجزائر والمستعمرات[6]، وقد ساهمت هذه السياسة في مضاعفة المستوطنين لنشاطهم الاستيطاني على حساب ممتلكات الجزائريين، وكان لذلك آثار سلبية، حيث ازداد عدد الشكاوي من قبل الجزائريين، وحتى من القادة العسكريين الذين كانوا يتخوفون من ازدياد وتيرة المقاومات. وفي 17 سبتمبر 1860 نزل نابليونIII والإمبراطورة "أوجيني" (**Eugénie**) زوجته بميناء الجزائر في زيارة أولى للجزائر[7]. بعد إقناعه من العديد من المستشارين أمثال "إسماعيل عربان"(**Ismail Urbain**)[8]، وكانت هذه الزيارة بعد الأزمة الإقتصادية لسنوات 1858–1860 التي أدّت إلى تراجع عجلة التطور داخل المستعمرة، وكذا بروز الأوبئة وبالأخص الكوليرا[9]. وقد دعا خلال هذه الزيارة إلى ضرورة تشجيع الاستيطان الرأسمالي الكبير[10] على الاستيطان الصغير المدعّم من قبل الدولة، وأوصى بمزج المصالح الفرنسية والأنديجينية، وقد أثارت هذه السياسة معارضة شديدة من قبل المستوطنين[11].

والملاحظ من هذا أن نابليون الثالث ركز في زيارة الجزائر على الوقوف عند أسباب الأزمة الاقتصادية التي أثّرت على فرنسا، وأراد بذلك إيجاد الحلول لها، ولم تكن الزيارة بدافع الوقوف على واقع الجزائريين (الأهالي). وفي 26 نوفمبر 1860 ألغى نابليون وزارة الجزائر والمستعمرات، وأعاد تكوين الحكومة العامة بقيادة بيلسي (**Maréchal Pélissier**)، وكانت أسباب هذا

الإجراء حسب ماذكره آجيرون هو استمرار الثورات في الأوراس 1859، والحضنة 1860، التي كانت دوافعها مختلف الإجراءات القمعية، من نزع للملكية وتفكيك للقضاء الإسلامي، وكان المستوطنون يتهمون الضباط بإثارة هذه الثورات[12]، وفي 6 فيفري 1863 أعلن نابليون الثالث من خلال رسالة للحاكم العام بيلسي (Pélissier) عن سياسته الجديدة ومن أهم ما جاء فيها "الجزائر ليست مستعمرة بالمعنى التام، لكن مملكة عربية، والأهالي مثل الكولون لهم نفس الحقوق في الحماية، وأنا إمبراطور العرب وإمبراطور الفرنسيين"[13].

«L'Algérie n'est pas une colonie proprement dite, mais un royaume arabe. Les indigènes ont comme les colons un droit égal à une protection, et je suis aussi bien L'empireur des arabes que l'empireur des français»

والرسالة التي وجهها نابليون III للمارشال بيلسي كانت بإيحاء من مجموعة من الضباط والمنظرين، مثل المحافظ "فريديريك لكروا" (Frederic la croix)، ومستشار الحكومة "إسماعيل عربان" (Ismail Urbain)، الذين أقنعوه بخطر سياسة الاستيطان الريفي مصرحين بقولهم: "...إنّ فلاح الجزائر الحقيقي هو إبن البلاد، وتنمية خيرات البلاد لا يمكن أن تتم إلا بإشتراك العرب والأوربيين تحت إشراف الحكومة المحلية"، وبذلك اشتدت قبضة العسكريين على الجزائر من جديد، كما اشتد استياء المستوطنين.

قام نابليون III بزيارة الجزائر للمرة الثانية دامت من 3 ماي إلى 7 جوان 1865 [14]، وصفت بالأطول، رافقه خلالها إسماعيل عربان[15]، وقد استقبل من قبل ماكماهون والكولون ببرودة وشك. وبعد عودته إلى فرنسا وضع تعليماته وملاحظاته في رسالة تضمنت السياسة الفرنسية في الجزائر، ووجهها

إلى المارشال "ماكماهون" وذلك في 20 جوان 1865، وقد تضمنت 88 صفحة، وجاء فيها خاصة ضرورة إعادة تنظيم قبائل المخزن، وإنشاء مدرسة عليا لانتخاب المسلمين، مع إعادة تنظيم المدارس، وتطوير المدارس من الدرجة الأولى، والملاحظ أن الرسالة تزامنت مع وجود الأمير عبد القادر في فرنسا[16].

أشار نابليون الثالث في هذه الرسالة أنّه: "طبق في الجزائر أكثر من 15 نظاما، لم ينتج عنها سوى الغموض"[17] معبرا بذلك عن استيائه مما آلت إليه أوضاع الجزائر خاصة ما لمسه خلال زيارته من صراع بين العسكريين والمستوطنين، وقد أكّد ذلك من خلال الرسالة أنّ: "هذا البلد هو في الوقت نفسه مملكة عربية، ومستوطنة أوربية، وقاعدة فرنسية"[18].

«Ce pays est à la fois un royaume arabe, une colonie européenne et un camp Français».

أراد من خلال هذا التصريح طمأنة الكولون والعرب، وبذلك محاولة التوفيق بينهما بما يخدم مصالح فرنسا طبعا

- لجنتا التحقيق الزراعية لوهون 1868 وراندون 1869: من بين أهم لجان التحقيق التي شهدتها الجزائر خلال فترة الحكم العسكري لجنتي التحقيق المعروفة بلجنة الكونت لوهون ولجنة المارشال "راندون"، اللتين تكونتا عقب المجاعة التي أصابت الجزائر، والتي تضرّر منها الجزائريون (الأهالي) ولم تمس الأوربيين الكولون.

عرفت الجزائر في الستينات من 1866 إلى 1868 ظروفا خاصة بسبب المجاعات والنكبات المختلفة[19]، ففي 1866 أعلن الإمبراطور على فتح تحقيق زراعي، وكانت المجاعة التي أصابت الأهالي تعبر عن تدهور الوضع الاقتصادي

تألفت لجنة التحقيق الخاصة بدراسة مشاكل المجاعة في 29 أفريل وبقيت إلى 15 جويلية 1868[20]، وذلك لأجل إيجاد حلول للوضع، وترأسها "الكونت لوهون" (Le comte le Hon) تجولت هذه اللجنة في الولايات الثلاث (الجزائر ووهران وقسنطينة). وقد ركزت في استجواباتها على الجانب الزراعي واستهدفت المناطق المدنية، ولم تستمع تقريبا للمسلمين إلاّ البعض منهم[21].

والملاحظ أنّ لجنة لوهون لم تغامر في المناطق العسكرية حيث المجاعة والفقر، وتركز التحقيق مع الكولون وفي مناطق الحكم المدني حيث عدد الأهالي قليل، وقد اعترف الكولون أنّ هذه الأزمة كانت بالنسبة لهم مربحة، والملفت للانتباه أيضا أنّ الأراضي تعرضت خلال هذه الفترة لنفس الظروف المناخية.

أراد نابليون III من خلال هذه اللجنة تهدئة الأوضاع وإزالة المخاوف، لذلك عين على رأسها أحد المقربين منه، الذي خضع لآراء المستوطنين الذين كانوا ضد الحكم العسكري. وقد انتصرت اللجنة بذلك للكولون انتصارا كبيرا، بحيث في 27 فيفري 1869 وضع الكونت لوهون عريضة يطالب فيها بجملة من المطالب، كانت كلها تخدم المستوطنين وتجاهلت المسلمين، وتحصل لوهون على 129 صوت مقابل 80 صوت في البرلمان[22]، وقد طالب لوهون وجول فافر (Jules Favre) من خلالها بضرورة تطبيق الحكم المدني[23]، فتمكن بذلك الكولون من تحقيق أهدافهم بحيث أنّ نتائج النقاش البرلماني كانت كلها تخدم مصالحهم، وقد تلاشت بذلك سياسة المملكة العربية[24]، وأصبح لوهون الناطق الرسمي للكولون الذين عبروا له بقولهم: "الآن تبدأ مهامك، ستصبح نائبا عنا "c'est maintenant que commence votre tache, vous allez devenir notre "

وبذلك فإنّ تحليل المجاعة وتحديد أسبابها عبر عنه بمنطق الكولون[25]

وهكذا فإنّ لجنة لوهون لم تكترث تماما لما أصاب الجزائريين، واعتبرت مصيبة الجزائريين بذلك فرصة خدمت مصالح الكولون "مصائب قوم عند قوم فوائد".

ألفت حكومة الإمبراطور في 5 ماي 1869 لجنة تحقيق أخرى من تسعة (9) أعضاء برئاسة المارشال راندون (Randon) حاكم الجزائر السابق وعضوية عدد من الشخصيات[26] البارزة من فرنسا، إضافة إلى قادة عسكريين وشخصيات معروفة بتعاطفها مع العرب[27]، وترأس هذه اللجنة المارشال راندون (Randon) بصحبة ثلاثة عسكريين هم الجنرال آلار" (Allard) و"ديسفوا" (Le général Desvaux) والكلونيل "جريسلي" (Gresley)، بالإضافة إلى خمسة (05) مدنيين هم السيناتور "أرموند بييك" (Armand Béhic)، و"فيرديناند باروا" (Ferdinand Baroot)، و"تلابو" (Talabot)، و"قاستمبيد" (Gastambide)، وشمبلن (Chamblin)، وكان الكتاب (السوكريتاريا) وكانت الأمانة (السكرتاريا)متكونة "فولد" (Fould)، و"روجينا" (Roginiat)، بمساعدة "تاسان" (Tassin)[28].

وقد عاب الكولون عن هذه اللجنة غياب ممثلين عنهم، وكان غياب لوهون بالنسبة لهم مفاجأة مؤلمة[29]، ولم يمثل المستوطنين سوى شخصية واحدة وهي "فيرديناند بارو" (Ferdinand)اجتمعت هذه اللجنة بين 31 ماي و24 جوان عشرة (10) مرات[30]، تولى السيناتور أرماند بييك إعداد التقرير النهائي لها، ومثل دور الحكم بين مختلف الاتجاهات بإعتباره محايدا، أو غير متأثر بأي إتجاه[31]، وقد عالجت اللجنة ثلاث قضايا رئيسية هي النيابة والحكم والاندماج[32]. وقام السينانور (Béhic) بتسليم التقرير في 29 جويلية، وتضمن 127 مادة (Article)، انتقدت فيه النظام العسكري وطالبت بإحلال النظام المدني الذي يسيره وزير مقيم بالجزائر[33]. ووافقت على أن يكون للكولون حق انتخاب نوابهم، وكذا انتخاب أعضاء المجالس العامة

(الولايات) ومجالس البلـديات، وأن يكـون للأهـالي حـق التمثيـل في جميـع المجالس دون حق الانتخـاب، وتبقـى الإدارة عسـكرية لكـنّ المنـاطق المدنيـة ستتوسع على حسابها كل خمس سنوات، ودعمت اللجنة الحكم اللامركـزي بإعطاء صلاحيات واسعة للحاكم العام بما في ذلك دراسة الميزانية[34].

ومن بين أهمّ ما أقرتـه إيجـاد ولايـتين، ولايـة مدنيـة خاصـة بـالأوربيين وولاية خاصة بالأهـالي، وهكـذا فـإنّ مشـروع المملكـة العربيـة سـيتحقق، وستصبح المكاتب العربية محمية من قبل هيئة تشريعية[35].

وكانت اللجنة قد وجهـت خمسـة أسـئلة مكتوبـة إلى النـواب الجزائـريين "حسين بن بريهمات" عن الجزائر، و"المكي بن باديس" عن قسطينة، و"أحمـد ولـد القاضي" عـن وهـران، وقـد أجـاب هـؤولاء بكـثير مـن الجـرأة والشـجاعة والصراحة وحرروا هذه الإجابات في باريس[36]، وقد بين هؤولاء ممارسـات المعمرين التي كانت البلاد مسرحا لها[37].

وقد رفض هؤلاء النواب (بن بريهمات، والمكي بن بـاديس، وأحمـد ولـد القاضي) أن يكون سبب المجاعة ما يدعيه المستوطنون، من جهـل الجزائـريين بأمور الفلاحة، كما نددوا ضمنيا بممارسة اليهود الربا الفاحش، وإسـتنكروا تقسـيم أراضـي الأعـراش، أوبيعهـا للأوربـيين لأنّ ذلـك يشـتت الأسـرة الجزائرية، كما نددوا بنظام البلديات الذي لا يخدم إلاّ مصالح الأوربيين، في حين أن الجزائريين هم الذين يمونونه ماديا (الضرائب)، وأشاروا إلى أنّ لجنـة الكونت لوهون 1868 لم يطّلع عليها إلاّ أقلية من الجزائريين، وأنّ الأوربـيين تجاوزوا الحد في آرائهم أمام تلك اللجنة، لدرجة أنّهم حاولوا أن ينـالوا مـن كرامة الشريعة الإسلامية[38]

وفي 9 مارس 1870 صادق مجلس البرلمان على تقرير "بييك" (**Béhic**)، وأصدر أمرا نص على أنّ الوضع بالجزائر يستدعي وضع نظام مدني يوفق بين مصالح الأوربيين والأهالي[39].

المطالبة بتكوين لجان برلمانية لتقصي الحقائق واقتراح مشاريع إصلاحية، فكان تقرير بيردو **Burdeau** 1891، ثم تقرير جونار 1892 مثلا، سببا في إصدار قرار من مجلس الشيوخ للقيام بتحقيق واسع في الجزائر.[40]

2- أهم اللجان في ظل الحكم المدني:

أصبحت الجزائر منذ 1870 خاضعة لهيمنة الكولون الذين حاولوا استغلال إهمال الحكومة الفرنسية للوضع، وسعوا لأجل الحصول على المزيد من الامتيازات معتمدين في ذلك على دعم وضغط ممثليهم داخل البرلمان.

وبدأ اهتمام البرلمان بالشأن الجزائري بعد إهمال دام عقودا كان فيها الجزائري تحت رحمة المستوطن وتحت سيطرة حكام عامين كانوا لعبة في أيدي غلاة المعمرين[41]، وازدادت في ظل هذه الظروف مأساة الجزائريين الذين لم يجدوا أسلوبا إلا أسلوب العرائض والشكاوى، التي طالبوا من خلالها بلجان تحقيق خلال القرن التاسع عشر، وبالأخص مرحلة التسعينات منه. وكان ذلك كنتيجة لصراع حاد داخل البرلمان بين نواب الكولون، والنواب الأحرار الذين جعلوا من مصالح الجزائريين (الأهالي) قضية الجزائر.

وغالبا ما كان هذا الصراع بسب تنامي هيمنة الكولون وإزدياد استغلالهم لثروات الجزائر، وقد دفع هذا الواقع بالبرلمان إلى إصدار قوانين حاول من خلالها الحفاظ على التواجد في الجزائر، ومن أبرز هذه القوانين، قانون تجنيس الأوربيين المولودين في الجزائر الصادر في 26جوان 1889[42].

ولا شك أنّ التخوّف من الكولون الأوربيين خاصة منهم الإسبان مع تزايد أعدادهم[43] كان وراء إصدار مثل هذا القانون، ذلك أنّ المخاوف من هيمنة الكولون الأوربيين على الجزائر أخذت في التطور وبرزت معها فكرة الاستقلال الذاتي التي لوّح بها هؤلاء منذ 1870، وهذا ما أوضحه النائب جاستون في إشارته إلى أنّ الاستقلال الذاتي يراد به تنظيم الجزائر مصالحها بنفسها، وأنّ برلمانا كولونياليا وحده يستطيع أن يسنّ القوانين[44]، وفي نفس السياق ذكر رئيس المجلس العام لولاية وهران في 2 اكتوبر1876 بقوله «إنّ كلمة الاستقلال الذاتي قد أصبحت موضة والذين يتزعمون الفكرة هم من غير الفرنسيين».[45]

لقد كان الصراع البرلماني في كثير من الأحيان ينتهي بقرار إرسال لجان تحقيق، كما طالب النواب الفرنسيون كذلك بضرورة إرسال لجان تحقيق، بدعوى إصلاح شؤون الجزائر معتمدين في ذلك على الشكاوى التي كانت تصل إلى البرلمان من الجزائريين مثل العريضة التي قدمها أعيان الجزائر للحكومة الفرنسية أثناء زيارتهم لباريس في 1878[46]، والتي دعوا من خلالها إلى ضرورة الاهتمام بالعرب بحكم ما يؤدونه من واجبات وما أثبتوه من تفاني في خدمة الإدارة الفرنسية[47]، وكذا العريضة التي قُدمت من قبل أعيان قسنطينة في 10جويلية 1887 والتي وقع عليها 1700 شخص احتجوا من خلالها على التجنس وطالبو بإبقاء القضاء الإسلامي[48].

وقد سجل القرن التاسع عشر محاولات بعض البرلمانيين لتشكيل لجان تحقيق غير أنّ الكولون تصدوا لها بقوة وأفشلوها ففي 21 ماي 1874 واقترح النائب «دولافرني»Léonce de Lavergne تشكيل لجنة تحقيق خاصة تضم عشرين عضوا لدراسة الوضع السائد في الجزائر، وإعداد مشروع قانون يتعلق بنظام حكم المستعمرة[49]، وطالب هؤلاء النواب بإقصاء ممثلي الجزائر (نواب الكولون) من عضوية تلك اللجنة، وبعد النقاشات والتعديلات

الضرورية تقرر في 18ديسمبر1874 اللجوء إلى التصويت لتشكيل اللجنة المذكورة، غير أنّ البرلمان تراجع عن فكرة إجراء التحقيق، وبذلك انتصر نواب الكولون مرّة أخرى[50]، وأكدوا على ضرورة دمج الجزائر بفرنسا[51]. وبعد أربع سنوات ردّ الكولون بتشكيل لجنة وذلك في 16 فيفري 1878 أرادوا من خلالها الإطاحة بالحاكم العام«شانزي» (Chanzy)، وطالبوا بالتقليص من صلاحيات الحاكم العام ويربط كل المصالح الإدارية في الجزائر بالوزارات المعنية في باريس[52]

وقد أشارت صحيفة «لافيجي آلجيريان» (La vigie Algérienne) في عددها 1564 إلى تكوينها بمايلي: «لقد تم تكوين اللجنة البرلمانية الخاصة بالدفاع عن مصالح الجزائريين (الكولون) ومن واجب اللجنة المطالبة بتطبيق كل القوانين المعمول بها في فرنسا»[53]. وتكونت هذه اللجنة من (Leon Gambita) (Crémieux) وشخصيات بارزة في الحكومة والبرلمان الفرنسي، منها كريميو (louis Blanc) «لويس بلان» (Jules Favre) ليون جمبيتا «جول فافر» (Albert Grévy)[54]«ألبير جريفي» لقد ذهب بعض النواب المكونين لهذه اللجنة إلى حد المطالبة بإلغاء منصب الحاكم العام، وبعد سنة من تشكيل هذه اللجنة نظم الكولون قافلة برلمانية استطلاعية، لقيت ترحيب الحاكم العام الجديد (Chanzy)الذي عيّن بدلا عن «شانزي» (Albert Grévy)[55]«ألبير جريفي» وكان ذلك دليلا آخر على ضغط نواب الكولون داخل البرلمان.إنطلقت القافلة البرلمانية كما وصفها (Paul Bourde) "بول بورد" في صحيفة (Moniteur Universel) والذي كان ضمن المشاركين في القافلة في 22سبتمبر 1879 من مدينة مرسيليا باتجاه مدينة الجزائر، وعلى متنها مجموعة كبيرة من البرلمانيين منهم السيناتور (Chevassieux)عن قسنطينة و"شوفاسيو" (Lucet) عن الجزائر و"لوسات"(Le lievre) لوليفر رفقة مجموعة كبيرة من الصحفيين[56].عن "لالوار"(La loire) استغرقت هذه الجولة أربعة أسابيع بين

سبتمبر وأكتوبر، وضمت 25 نائبا فرنسيا بمعية "جيرد كاتب الدولة المساعد للشؤون الداخلية الفرنسية[57]، وكان مشروع هذه الرحلة البرلمانية التي حضر لها السيد "توسون" (Thomson) وهو نائب عن مدينة قسنطينة هو الحصول على المزيد من الامتيازات لصالح الكولون في الجزائر[58].

ورغم أن هذه القافلة لم يكن لها شكلا رسميا غير أن سكان الجزائر (المسلمين) استقبلوها بحفاوة لا نظير لها في كل المناطق التي حلت بها[59]، رغم أنّ نشاطها اقتصر على مقابلة المعمرين والمنتخبين فقط، وكانت في واقع الأمر نزهة أراد من خلالها نواب الكولون إغراء وإقناع الـ 25 نائبا بضرورة الاستجابة لمطالبهم وتحقيق مشاريعهم بما فيها ربط المصالح الإدارية الجزائرية بالوزارات المعنية في باريس، وكذا تقليص صلاحيات الحاكم العام وغيرها من المطالب التي تضاعف من امتيازات هؤلاء الكولون على حساب الجزائريين (الأهالي) الذين تجاهلتهم هذه القافلة رغم أنهّم عبروا بطرق مختلفة عن تذمرهم من عملها بما فيها المقاومة. حيث تزامنت هذه الزيارة الإستطلاعية مع إنتفاضة الأوراس 1879، فاستغل الكولون ذلك للمطالبة بالمزيد من الإجراءات القمعية في الجزائر ، (Code de L'indigénat)، وهذا ما سيحصلون عليه في 1882 بإصدار "قانون الأهالي" ونتيجة لهذه القافلة تمكن الكولون من الحصول على مساندة هؤولاء النواب خلال الحملة التي خاضوها سنة 1880 لمضاعفة عدد نوابهم في البرلمان[60] وفي 22 أفريل 1880 طالب أحد النواب في مجلس الشيوخ وهو "الكونت دوسفيل" ، مناقشة السبل الكفيلة بتحديد المسؤوليات فيما يتعلق بتسيير (Le Comte d'Haussonville) الشؤون الجزائرية. وفي 15 نوفمبر 1880 تكونت لجنة من 20 عضوا منهم 11 عضوا كانوا ضمن اللجنة البرلمانية التي زارت الجزائر سنة 1879 ومن بينهم كاتب الدولة المساعد "جيرد" " Le Petit colon"، وكان تكوين هذه اللجنة حسب صحيفة "(Gired) دليلا على اهتمام الحكومة بإعادة تنظيم شؤون

الجزائر، وقد أكدته الرسالة التي بعث بها وزير إلى النواب والبرلمانيين الجزائريين يقترح (Constans) الداخلية (Extra Parlementaire) عليهم أن يكونوا ضمن اللجنة البرلمانية الخاصة المكلفة بتحضير مشروع قانون لتنظيم الجزائر. والتي جاء فيها "بناءا على التقرير الذي قدمه الحاكم العام، والمتضمن اقتراحات تخص التنظيم الإداري للمستعمرة (الجزائر)، والذي يقترح فيه تعيين لجنة برلمانية تكلف بإعداد مشروع لذلك، وبعد دراسته تمّ عرضه على رئيس الجمهورية الذي وافق على تكوين هذه اللجنة التي ستتكون من أعضاء من البرلمان، ومن الإدارة وممثلين عن الوزارات المعنية، وهي المالية والأشغال العمومية والزراعة والتجارة والبريد والتلغراف"[61]، وقد عقدت هذه اللجنة أولى اجتماعاتها برئاسة وزير الداخلية "كونستنس" الذي أشار إلى ضرورة ربط مصالح الجزائر بالوزارات في فرنسا. (Constans) أطلق الكولون مرّة أخرى مبادرة جديدة في أفريل 1887 حيث نظموا لجنة مكوّنة من ثلاثة وزراء وحوالي مائة بين نائب وموظف سامي، كلفوا بالقيام بتحقيق رسمي حول التقدم الذي حققه التعليم العمومي، وتطوير شبكة السكة الحديدية والتلغراف. عرفت بـ"القافلة البرلمانية الكبرى"[62] وكانت الجزائر في هذه المرحلة تشهد مقاومة بوعمامة، هذه المقاومة التي عرقلت مشاريع الإستعمار في الجنوب خاصة منها مدّ السكة الحديدية والتلغراف، وهذا مادفع بالاستعمار خلال التسعينات –عهد كمبون– إلى إنتهاج أساليب جديدة أكثر ديبلوماسية في التعامل مع هذه المقاومات من بينها عرض الأمان على بوعمامة[63].

كان الهدف من وراء تكوين هذه القافلة البرلمانية دفع المجلس التشريعي لقبول مشروع القرض المالي الذي والمقدر ب 50 مليون فرنك، (Louis Tirman) طالب به "تيرمان لويس" وكعادتهم إستغل الجزائريون (الأهالي) مجيئ هذه اللجنة لتقديم عرائضهم وشكاويهم، ففي منطقة القبائل تظاهر

السكان عند مرور القافلة وإشتكوا من إرتفاع الضرائب، مما دفع بالبعض منهم إلى المطالبة بتطبيق سياسة أكثر ليبيرالية في صالح الأهالي، وطالب البعض بتجنيسهم، في حين ألتزمت الغالبية الصمت[64] وكنتيجة لهذه اللجان إزدادت إمتيازات الكولون وإزداد نفوذهم في البرلمان حيث وجدوا الدعم من قبل النواب.

الملاحظ إذن أنّ أغلب الجان التي تكونت والتي توافدت على الجزائر كانت كلها تخدم مصالح الكولون، وتتجاهل تماما مصالح الأهالي، وأغلبها لم توجه أي إهتمام لمصالح الجزائريين (الأهالي)، بل على العكس جعلت منهم وسيلة لإثبات حق الكولون مثلما رأينا مع الجنة التي كوّنها الكولون في 1879 والتي كانت إحدى نتائجها سن قانون الأهالي.

كانت الأوضاع التي تعيشها الجزائر كلها تنبىء بخطر ضياع الجزائر من فرنسا[65]. وقد تدعمت هذه المخاوف عن طريق العرائض والمذكرات الاحتجاجية التي كان يرسلها الجزائريون إلى البرلمان، والتي كثيرا ما طالبوا فيها بجان تحقيق إضافة إلى استمرار المقاومة، لذلك فابتداء من مطلع التسعينات من القرن التاسع عشر (1890) بدأ التحول يسجل في السياسة الفرنسية، خاصة على مستوى البرلمان وغرفة الشيوخ[66] إتجاه قضايا الجزائريين (الأهالي) خاصة بعد التقارير التي قدمها كل من بيردو **(Burdeau)** 1891 وجونار **(Jonnart)** 1892، وكلها توجهت بالنقد لسياسة الإدارة، وأثارت حفيظة مجلس الشيوخ ومخاوفها[67]، خاصة ما تعلق بالفضائح التي ارتبطت بأسماء مشاهير من غلاة المعمرين، مثل ما عرف بفضيحة "فوسفات تبسة" وتعيين **(Tirman)** حاكما عليها.

وقد أدّت هذه التقارير وهذا النقاش البرلماني إلى استقالة الحاكم العام"تيرمان" من جهة وقرار مجلس **(Jules Cambon)** حاكم أخر هو "جول

كومبون" الشيوخ إرسال لجنة تحقيق إلى الجزائر من جهة أخرى في 16 مـارس 1891 عرفت بلجنة مجلس الشيوخ وأطلق عليها كذلك إسم لجنـة 18 تعـبيرا عن عدد أعضائها[68]. وترأسها جول فيري بنيابة بارتيلو وكتابة فرانك-شفو وبوليات وكانت تضم مدنيين وعسكريين[69].

وبالمقابل أعربت غرفة النواب عن عدم رضاها بانفراد مجلس الشيوخ بمعاينـة القضايا بمهمة إعداد تقرير عن ميزانية الجزائر، الجزائرية، فكلفت لـذلك النائـب بيردو (Burdeau) وأصبحت بذلك الجزائر محل اهتمام الغرفتين.

لقد قررت اللجنة استقصاء الآراء عـن طريـق اسـتبيان نشـرته ابتـداء مـن أفريـل 1891، اهـتم بواقـع ملكيـات الأهـالي ووضـعيتهم المدنيـة، وقضـايا الاستيطان، والميزانية المحليـة والتعلـيم العمـومي والتقسـيم الإداري للجزائـر، وكذا مسائل التمثيل النيـابي للمسـلمين واحتمـال مشـاركتهم في الانتخابـات التشـريعية وعضـويتهم في المجلـس الأعلـى وتجنيسـهم، خاصـة مـنهم سـكان القبائل[70]. تضمن هذا الاستبيان 12 سؤالا يدور حـول المسـائل الـتي تشـغل الجزائـريين والكولـون معـا[71]. وفي نهايـة مـارس 1892 قـررت لجنـة مجلـس الشيوخ إرسال لجنة مؤلفة من سبعة أعضاء برئاسة "جول فيري"استغرق عملـها 53 يوما وذلك من 19 أفريل إلى غاية 4 جوان 1892 قطعت فيها 4000كلم[72].

وقد عبّرت اللّجنة عـن اندهاشـها مـن الإجمـاع الـذي لمسـوه أينمـا نزلـوا فيما يتعلق بأوضـاعهم المتـدهورة، وعـن إفلاسـهم وفقـرهم، وعـن رفضـهم التجنس والخدمة العسكرية الإجباريـة وكـذا التعلـيم الإلزامـي، ورغبـتهم في الحفـاظ علـى أحـوالهم الشخصـية، وبإعـادة قضـاتهم وإعـادة الصـلاحيات لمستشاريهم البلديين[73].

صُنفت لجنة جول فيري المعروفة بلجنة 18 بأنهّا أهم لجان القرن التاسع عشر التي توافدت على الجزائر، وبكونها اللجنة الوحيـدة الـتي تعرضـت في دراسـتها

وتقاريرها إلى قضايا الجزائريين (الأهالي)، وقد طُرحت نقاشاتها لأزيد من سبع سنوات 1891-1897 (فترة حكم جول كمبون)، غير أنّ الملاحظ أنّ هذه اللجنة تكونت في ظل ظروف خاصة كانت تعيشها السياسة الإستعمارية عموما والفرنسية خصوصا، منها الصراع على إحتلال إفريقية، والموقف من العالم الإسلامي، إلى جانب التطور الصناعي والسكاني للدول الاستعمارية[74]، الذي كان يحتاج إلى نوع من الاستقرار في داخل المستعمرات وهذا ماركّزت عليه سياسة جول كمبون مباشرة بعد توليه الحكم.

وكان موقف الكولون معارضا تماما للجنة جول فيري لجنة 18 منذ البداية، وقد عبروا على ذلك بتصريحات معادية منها "إنّ الجزائر لتهزأ بالسيد فيري، ولقد سبق لنا أن خبرنا آفات أخرى قبله وانتصرنا عليها في نهاية المطاف..."

ومن جهتها دعمت الصحف والمجلات موقف المستوطنين، فالمجلة "الجزائرية التونسية"، (La Revue Algérienne et Tunisienne) كتبت في عددها الثامن معبرة عن موقفها تجاه اللجنة ونوابها مايلي "العرب شعب مغلوب يجب معاملته وفق ما يخدم مصالحنا، وقد تجرأ البعض مقارنته بإخواننا من الألزاسيين واللورنيين الذين خضعوا لسيطرة الألمان.

وكان موقف الجزائريين من لجنة جول فيري أكثر وضوحا وربما كان ذلك بحكم الاهتمام الذي أولته هذه اللجنة لهم من خلال إدراج أسئلة خاصة بهم في الإستبيان الذي تضمن 12 سؤالا. وهذا ما دفع بالجزائريين ربما لاستغلال الفرصة وطرح انشغالاتهم بحرية أكثر، وقد تجلى ذلك من خلال العرائض التي جمعت هذه الانشغالات.

ومن أبرز العرائض التي قدمها الجزائريون للجنة جول فيري عريضة سكان مدينة تلمسان وقسنطينة، أشار أعيان مدينة قسنطينة في إجابتهم عن

استجواب اللجنة البرلمانية إلى أوضاع الجزائريين المسلمين، وقد شبهوهم بالأنعام التي يعجز الراعي عن رعايتها، إشارة إلى هيمنة الكولون على القرار السياسي في الجزائر[75]، وأشاروا من خلالها كذلك إلى وطأة الضرائب وقانون الأنديجينا، وطالبوا بإنتخاب نواب يمثلون الجزائريين وينقلون مشاغلهم إلى المجالس العليا[76].

وقد طرح حميدة بن باديس في تقريره عن حالة الجزائر نفس الانشغالات التي طرحت في باقي العرائض. ونُشر هذا التقرير في جريدة **الشهاب** الجزء الثالث، المجلد الثالث عشر في مقال حمل عنوان "**بين** الماضي والحاضر، شكوى الجزائر وبلواها منذ ست وأربعين سنة". وقد نشر تزامنا مع زيارة "موريس فيوليت" للجزائر سنة 1937 على رأس لجنة برلمانية[77]، وهذا دليل على مواصلة الجزائري مقاومته للسياسة الإستعمارية. في حين يظهر أن نفوذ وهيمنة الكولون بقيت متواصلة ومستمرة إلى غاية القرن العشرين.

الهوامش:

---

(1) بوحوش : **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، لبنان، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص121.

(2) سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الإحتلال"**، (ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1982)، ص 97.

(3) **نفسه**، ص 97؛ أنظر أيضا محمد العربي الزبيري، «المقاومة في الجزائر 1830-1848»، **مجلة الأصالة** ع 29-30، جانفي-فيفري، الجزائر 1976، ص16؛ **بوحوش**: التاريخ السياسي للجزئر، ص121.

(4) سعدالله : **المرجع السابق**، ص103.

(5) بوعزيز: سياسة نابليون الثالث، (**الثقافة** : وزارة الثقافة، الجزائر) . – ع50، مارس–أفريل 1979. ص22.

(6) DESCHAMPS Paul et Autres : **Les Colonies et la vie Française pendant Huit siècle**, paris,Ed, Firmin – Didot, 1933. p179

(7) Jean – Jacques JORDI, et Jean Louis PLANCHE :1860.1930, **une certaine idée de la construction de la France** , (Ed, Autrement -Collection Mémoires,Paris 1999), p27

أنظر أيضا شارل روبير آجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصر**، ص57

(8) أحمد شقرون: دور الاحتلال الاستيطاني في سياسة فرنسا في الجزائر مجلة **المصادر** ع 17، السداسي الأول، ص 105.

(9) Jordi, **OP.Cit**, p17

(10) كان يقوم عليه رأسماليون كبار من أصدقاء نابليون III، الذين منحت لهم إمتيازات ضخمة في الجزائر لاستثمار رؤوس أموالهم، كما منحت لهم أراضي شاسعة إنتزعت من الجزائريين. انظر **Jordi, OP.Cit**, p17

(11) شقرون: **نفس المرجع**، ص 105.

(12) **آجيرون**: تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة عيسى عصفور، الجزائر، ط2، د م ج، 1982، ص58. أنظر أيضا **Année de L'algérie**: philippe SECHAUD Université (Lumière Lyon, 2003), p09 Jean -

(13) YACONO Xavier :**Histoire de l'Algérie de la fin de la guerre Turque à l'insurrection de_1954**, Versailles, Ed - L'Atlanthrope , S.D., p161. voire aussi DECHAMP .**OP.Cit**, p180

(14) بوعزيز، **المرجع السابق**، ص21؛ أنظرأيضا سعد الله: **نفس المرجع**، ج2، ص 24؛ **شارل روبير آجيرون**: **نفس المرجع** ص60، DECHAMP .**OP.Cit**, p181

(15) YACONO: **OP.Cit**, p163

(16) AGERON : **Politiques coloniales au Maghreb, Collection Hiér**., Paris 1972. p69

(17) بوعزيز: **سياسة نابليون III**، ص21 أنظر أيضا . DECHAMP .**OP.Cit**, p181 YACONO: **OP.Cit**, p163 voire aussi

(18) YACONO: **OP.Cit**, p16 voire aussi ، DECHAMP .**OP.Cit**, p181

(19) بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص187.

(20) يحي بوعزيز: **نفس المرجع**، ص.187 أنظر أيضا، **YACONO**: OP.Cit, p77

(21) AGERON : **Politiques coloniales**, p77

(22) AGERON : **OP.Cit**, p78

(23) YACONO: **OP.Cit**, p177

(24) Annie REY Goldzeiguer : **Le Royaume Arabe, la politique Algerienne de Napoléon III 1861,1870**, Alger ,Ed, SNED, 1977 : 659

(25) **Ibid**, p657

(26) بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، ص170 أنظر

REY : **OP.Cit**,p66 Voire aussi YACONO: **OP.Cit**, p177

(27) CH.A.JULIEN : **Histoire de L'Algérie Contemporain (la comquéte et les debuts de la colonisation 1827-1871)**, Alger, Ed, Casbah, 2005. p 443

(28)– . REY : **OP.Cit**,p 660

أنظرأيضا بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، ص170.

(29) REY : **OP.Cit**,p 661

(30)AGERON : **Politiques coloniales**, p79

(31) بوعزيز: **نفس المرجع**، ص188.

(32) سعد الله: **نفس المرجع**، ج1، ص 162.

(33) .AGERON : **OP.Cit**, p80

(34) سعد الله: **الحركة الوطنية**، دار البصائر، الجزائر، ط 2007، ج1، ص 162.

(35) REY : **OP.Cit**,p 663

(36) سعدالله، **مرجع سابق**، ص170.

(37) **محمد بن شوش**: الغزو الفكري للجزائر 1830– 1870، **مجلة المصادر** : المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر (السداسي الثاني 2008) ع، 18ص108.

(38) بوعزيز: مجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19، مجلة **الأصالة**، ع 33، سنة5، ماي 1976، ص15.

(39) بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، ص191.

(40) أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ص 84.

(41) سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج 1، ص525.

(42) RENANDOT Françoise, **L'histoire des Français en Algérie1830-1962**, Ed, Robert Laffont, 1979.: op.cit,p88

(43) وصل عدد الإسبان بالجزائر سنة 1901إلى155 ألف نسمة ووصل عدد الإيطاليين إلى39 ألف نسمة أنظر : YACONO , **op cit** , p217 .

(44) صالح عباد : **المعمرون والسياسة في الجزائر 1870-1900، الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص98.

(45) **نفسه**، ص99.

(46) استغل وفد من من أعيان الجزائر زيارته لباريس بدعوة من سلطات الإحتلال لحضور حفلة إفتتاح معرض باريس الدولي في 1878، ليقدموا عريضة تضمنت عدّة مطالب منها إنتخاب ممثلين للأهالي في المجالس .

(47) **قنان**: **نصوص سياسية نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر**، 1830- 1914، د.م.ج، الجزائر، 2009.، ص 174،

(48) نفسه: ص197.

(49) J, Le Tell, Journal politique et des intérêts coloniaux, **Dépêches télégraphiques**, SN , 21 mai , 1874

(50) آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-**1919، تر محمد حاج مسعود وأ. باكلي الجزائر، ط1، دار الرائد للكتاب 2007ج 1 ، ص 783.، الجزائر، ط1، دار الرائد للكتاب 2007ج 1 ، ص 783.

(51) J , Le tell, **OP.CIT**.

(52) أجيرون : **نفس المرجع**، ص 784 .

(53) **La vigie Algérienne** , N° 1564,(sixième année) ,17 Février 1878

(54) بقية الأعضاء المشاركين في هذه اللجنة هـم كالتـالي : – Le Blond – Gazot Arago – Pelletan – Horace de Choiseul – Schoelcher – Krantz –Massot – Peyart – Floquet – Bozerian – Testelin – Bérenger Menier – Ferouillat – Cordier – Henri Brisson – Madier de Montjau – Paul Bert – Martin Nadaud – Margne –Laisant –Edouard Lockroy – Bertholon – Laglois – Foucher de Careil- Léon journault – Deufert –Ro J , La vigie Algérienne , 19 Février 1878 N °1566

(55) آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج1 ص785.

(56) Paul BOURDE ; **A traver L'Algérie , souvenires de l'excursion parlementaire** , septembre – octobre 1879, Ed,G, Charpentier , Paris, 1880, p 1

(57) آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج1، ص 785.

(58) BOURDE , **OP.Cit**, P 02

(59) **Ibid**, p2

(60) آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج1، ص 785.

(61) J , le petit colon ,la réoraganisation algerienne, , 900 ,25 Novembre 1880 .

(62) آجيرون :**الجزائريون المسلون وفرنسا**، ج1، 788

(63) زوزو : **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصـرة 1830–1900**، الجزائـر: د.م.ج، 2007، ص93

(64) آجيرون :**الجزائريون المسلون وفرنسا**، ج1، 792

(65) DESCHAMPS : **OP.Cit** , p207

(66) بن داهة: **الاستيطان والصراع حول الملكية 1830-1962**، الجزائر، طبعة وزارة المجاهدين، 2008 ج 2، ص 107.

(67) آجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ص84. أنظر أيضا

RENANDOT : **op.cit** , p88 ; voire aussi YACONO, **op.cit**, p 213

(68) آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج1، ص801؛وانظر كذلك بن داهة: **المرجع السابق**، ج 2، ص107

(69) سعد الله: **الحركة الوطنية**، الجزء 1، ص526.

وقد ذكر عمار بوحوش في كتابه التاريخ السياسي للجزائر تكوين لجنة 18 في مارس 1891 (ص188)، مثلما ذكر **آجيرون**:نفس المرجع، ج 2، ص802 ذلك، غير أن بوحوش يذكر تاريخ تعيين جول كمبون 16 مارس 1891 في حين ذكر آجيرون تاريخ تعيينه في 10 أفريل 1891 وهو نفس التاريخ الذي أشار إليه Yacono في كتابه "Histoire de l'Algérie".

(70) آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج1، ص813. أنظرأيضا Deschamps : **OP.Cit**, p207

(71) سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج1، ص526

(72) آجيرون: **نفس المرجع**، ج1، ص819 .

(73) آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج، 1 ص820

(74) سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج1، ص526

(75) قنان: **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر**، ص215

(76) **نفسه**، ص 218.

(77) **نفسه**، ص226

هجرة أهالي تلمسان 1911
من خلال الصحافة ولجان التحقيق الفرنسية

دة/ نادية طرشون

جامعة الجزائر

يعترف الفرنسيون منذ احتلالهم للجزائر، بأن المدن الجزائرية غداة الاحتلال قد فقدت قسما كبيرا من سكانها، وغالبية نخبها، إما بالهجرة الى المناطق الداخلية، أو بالهجرة خارج الحدود الجزائرية الى البلاد العربية، مغربية كانت أو مشرقية. وقد دام الحال كذلك حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وكانت هذه الهجرات نتيجة حتمية للمواجهات العسكرية وحرب الإبادة التي اعتمدتها القوات الاستعمارية، وللعقوبات والضرائب المفروضة على الأهالي، وبسبب إصدار العديد من التشريعات والقوانين من طرف الادارة الاستعمارية، بقصد ادماج الجزائر كلية في المنظومة التشريعية الفرنسية.

والهجرة من الجزائر، لها شكلان سبق أحدهما الآخر. فالأولى هي هجرات جماعية لعائلات ومجموعات سكانية لها امكاناتها وأرزاقها، هاجرت من مختلف مناطق الجزائر إلى البلاد العربية وفضلت القطيعة مع بلادها التي سيطر عليها المستعمر الكافر، وهي هجرة غذتها العقيدة والاحساس بالحرية. وكانت أهم محطاتها الزمنية السنوات التالية، 1847 ـ 1860 ـ 1866 ـ 1871 ـ 1888 ـ 1898ـ 1909 ـ 1910 ـ 1911.

ولكن هذه الهجرة غطت عليها وحجبتها هجرة الجزائريين الى فرنسا، وهي هجرة لدواعي اقتصادية معيشية، قام بها شباب وأرباب عائلات لإعانة عائلاتهم وفي نياتهم العودة الى بلادهم. وموضوعنا المختار يندرج ضمن الشكل الأول من الهجرة، حيث يشاء القدر أن تختار تلمسان عاصمة للثقافة الاسلامية بعد مرور قرن على اختيار أهاليها الهجرة الى البلاد العربية الاسلامية. في حركة هجرة انطلقت سنة 1909 وما قبلها من مدينة تلمسان وضواحيها، وبلغت ذروتها في خريف 1911. وقد تميزت هجرة تلمسان عن باقي الهجرات بكثافتها. بحيث خرج ما بين شهري أكتوبر ونوفمبر 1911 ما يفوق 1200 شخص. حتى وصفها الفرنسيون من كتاب وصحفيين وسياسيين بالهلع الحقيقي والوباء المعنوي، الذي سيطر على البلاد كلية، وكان يرمي يوميا بالعشرات من العائلات الجزائرية التلمسانية الى الحدود الغربية[1]. كما قدرت مصادر أخرى؛ أن العدد فاق مائتي عائلة، أي بتعداد 3000 شخص تقريبا. وكانت هذه العائلات قد أبحرت الى بلاد الشام من الموانئ الاسبانية في المغرب الأقصى. وقد تجاهلت السلطات الفرنسية في المنطقة كلية هذه الهجرة في مراحلها الأولى، ولم تتخذ أية إجراءات لإيقافها أو الحد منها[2].

ظهرت البوادر الأولى لهذه الهجرة مع أواخر عام 1910، كرد فعل على إجراءات التجنيد الإجباري وشروع السلطات الاستعمارية في عمليات احصاء الشباب، بحيث أنه مع إعلان 8 فبراير 1911 للشروع في عمليات إحصاء الشباب المؤهلين للخدمة العسكرية في تلمسان، اشتدت الرغبة في الهجرة، وعمت كل سكان المنطقة. وقام المفتي شلبي جلول في خطب الجمعة يحذر الناس من الخطر الذي يتهدد المسلمين، ودعا الى الهجرة موضحا الخطورة التي تنجر عن إقامة المسلمين بين المشركين. وحسب ما أوردته السلطات الاستعمارية في تقاريرها، فإن أول شخصية مدنية بادرت الى الهجرة كانت قائد وادي شولي

المدعو سي لخضر، وكان برفقته 27 فردا من عائلته، ثم لحق به المدعو "مومو مزيان بن منور" وأشخاص آخرون انتقلوا الى المغرب الأقصى بواسطة القطار حتى وصلوا الى طنجة، التي أبحروا منها الى دمشق[3].

وشرع هذا القائد مباشرة بعد وصوله الى دمشق في مراسلة أقاربه وأصدقائه يحثهم على الهجرة الى بلاد الشام للتخلص من تسلط الفرنسيين عليهم، وكان يعدد لهم محاسن بلاد الشام وكرم أهلها ويذكر لهم اهتمام الحكومة بالمهاجرين. وقد أثار رحيل هذا القائد، تساؤلات الفرنسيين واستغرابهم. فهو كان يتمتع بوظيفة حكومية ولم يتعرض لأي مساس في شخصه أو أمواله. وكان قد سبق هذا القائد في الهجرة الى الشام مجموعات كبيرة من أتباع الطريقة الدرقاوية، كان على رأسهم المقدم الشيخ بن يلس، وكان هؤلاء قد تقدموا بطلبات للترخيص لهم للسفر الى المشرق منذ سنوات 1903ـ 1904. وتم خروج البعض منهم رغم رفض طلباتهم، ثم كان خروج المقدم بن يلس سنة 1908، ووصوله الى جبل طارق بعد محاولتين غير موفقتين، ومنه أبحر الى دمشق.

وعرفت القرى والمدن القريبة من تلمسان مثل "الرمشي وسبدو وندرومة" استعدادات كثيفة للهجرة، حيث قام الأهالي ببيع ممتلكاتهم من أراضي وعقارات وأثاث للأوربيين، والفرار خفية عبر الحدود المغربية وأما م هذه الحالة من الاضطراب قررت صحيفة l' echo d'oran، إرسال أحد محرريها وهو Eugene Gross الى تلمسان للتحقيق في أمر هجرة الأهالي. وأثار التقرير الذي نشره في ست حلقات ضجة كبيرة واعتمدته أكثر الصحف المحلية والباريسية التي كتبت عن هذه الظاهرة.

ومما جاء في أحد تقارير هذه الصحيفة؛ " إن الهجرة اشتدت خلال النصف الثاني من شهر سبتمبر والأيام الأولى من شهر اكتوبر، كانت موافقة للنصف

الثاني من شهر رمضان وشوال، ثم خفت ربما لفاعلية الحراسة التي وضعتها السلطات الفرنسية على الحدود مع المغرب الأقصى، ولخشية المهاجرين من تطورات الحرب التركية – الإيطالية في طرابلس الغرب. والملاحظ أن عائلات من أعيان المدينة هاجرت من تلمسان الشيء الذي دفع ببقية الناس الى اتخاذ قرار الهجرة، وعلى حد قول أحد الفرنسيين " فالكل يريد الهجرة لأن الجار هاجر " والوسيلة الوحيدة ذات الفاعلية التي اتخذتها السلطات المحلية، كان بحبس كل من يكشف وهو يستعد للهجرة أو اتخذ قرارا لذلك[4].

وأظهرت هذه الصحيفة في مقال آخر؛ " أن التجنيد ليس السبب الوحيد للهجرة مثلما أدعى ذلك بعض الأوربيين. بل الأسباب عديدة ومختلفة، وهي كلها ناتجة عن الوضعية المزرية التي يعيش فيها المسلم الجزائري، وما قضية التجنيد إلا القطرة التي طفح بها الكيل ". وأعلنت نفس هذه الجريدة، أن لجان خاصة بالهجرة شكلت في بلاد الشام لاستقبال المهاجرين حيث كانت عملية الدعاية للهجرة متواصلة، سواء من بلاد الشام أو من استانبول، وسواء عن طريق الصحف مثل؛ صحيفة "المعلومات" و"ثمرات الفنون" أو بواسطة الرسائل المتبادلة بين المهاجرين وذويهم في الجزائر.

وقد اتخذت هذه الدعاية طابعا شبه رسمي إذ شكلت مؤسسات وتجمعات منحتها الحكومة العثمانية صلاحيات للاهتمام بأمر المهاجرين وتوطينهم. فظهرت في دمشق، اللجنة الدمشقية للتجمع الأخوي الجزائري ـ التونسي. والتي واضبت على إرسال النداءات ودعوة الجزائريين والتونسيين للهجرة الى بلاد الشام، تعبيرا عن سخطهم على النظام الفرنسي في الجزائر. ومما جاء في أحدى هذه النداءات عبر الرسائل: "... نطلب منكم أن تعرفوا إخواننا المغاربة الذين بطرفكم بما أعرفكم على فضائل بلاد الشام وبما فيه من خير. اعلموا أننا في انتظاركم بدمشق على القدوم إلينا عزما من غير تأخير، لأن الحكومة العثمانية تحتفل بالقادمين إليها من المهاجرين المغاربة، وأول وصولهم الى بيروت

تركبهم الحكومة العلية الى الشام. والسكن أيضا بلا شيء، من غير دراهم، وتعطي الدولة أيضا، كل نفس 20 هكتارا من الأراضي وتعطي له ثوران وزريعة. والولد الذي يولد عند المهاجرين يعطى له مثل الكبير ولا يؤخذ منهم العشر، إلا بعد عشرين سنة ويصير يدفع مثل أهل البلاد[5]. وكان مركز هذه اللجنة في بيروت، ولها فروع في استانبول ودمشق، وكان ممثلها في المدينة الأخيرة مهاجر جزائري يدعى محمد بن شطة، كان قد هاجر أواخر القرن التاسع عشر من مدينة الأغواط الى تونس، وعندما سقطت هذه الأخيرة تحت الحماية الفرنسية خرج منها متوجها الى دمشق هو وعائلته، وتولى فيها رئاسة تحرير جريدة "المهاجر" التي كانت تصدر في دمشق بين سنة 1912 ـ 1914، وهي الناطقة بلسان المهاجرين الجزائريين في بلاد الشام.

وراحت الصحف المحلية الأخرى مثل صحيفة "الأخبار" تنشر معطيات هجرة أهالي تلمسان واصفة إياها، بأنها "هجرة سكان المدن المرتاحين ماديا" ومفندة الادعاءات التي ربطت هذه الهجرة بالخشية من الخدمة العسكرية، قائلة: "إن هذه الحجة قد قدمت من طرف المستوطنين المعارضين للخدمة العسكرية وهم أيضا المستفيدون من هجرة الأهالي هذه [6].

أما صحيفة "الحق الوهراني" فقد ذكرت في مقال لها عن هجرة تلمسان، أن نائب المحافظ كان يشجع الناس على الهجرة، وأن المنادي العمومي كان يعلن أن الكل يستطيع أن يسافر شرط أن يكون قد أدى ما عليه من ضرائب[7].

وتتجه صحيفة "الإسلام" الى نشر مقال عن مظاهر هذه الهجرة وأسبابها مع إقتراح بعض الحلول فتقول: "إن حركة هجرة الجزائريين الى سورية ليست وليدة اليوم، فهي تعود الى سنوات عديدة، ولكنها اشتدت منذ سنتين خصوصا في مناطق الهضاب العليا، حيث أخذت آلاف العائلات في

التخلص من أراضيها، واختارت طريق المنفى، وقد شكل هذا الهروب الجماعي ظاهرة ووباءا صار يهدد البلاد بالإخلاء التام". ويستطرد صاحب المقال "أن هذه الصحيفة كانت قد نبهت منذ البداية الى هذا الخطر، وأوضحنا الأسباب التي تقف وراء اندفاع إخواننا للهروب من بلاد لم تعد فيها الحياة محتملة بالنسبة للأهالي" مؤكدا "أن هذا الخروج الجماعي هو في صالح جماعة من الوسطاء ومصاصي الدماء الذين وبإتفاق مع رجال الإدارة، كانوا يشجعون الناس على الهجرة ويدفعونهم الى بيع أراضيهم وممتلكاتهم بأبخس الأثمان" ولا تكتفي الصحيفة بالتنبيه ولكنها أيضا تعمل على تقديم النصيحة بقولها: "إن التحقيقات التي أجرتها السلطات قد بينت العديد من الحقائق، يتوجب التمعن فيها والشروع في عمليات إصلاح عميقة وشاملة في طريقة وأسلوب تسيير شؤون الأهالي، وإحداث تغييرات جذرية في النظام الضريبي والإقتصادي عامة وحتى السياسي" وعند تناول الصحيفة لهجرة تلمسان بالذات، فإنها تذكر أن المدينة جوهرة بلاد المغرب ومشعل من مشاعل الحضارة الاسلامية... وها قد جاء دورها لنسمع أنينها من الوضع البائس الذي تعاني منه البلاد بكاملها". ويذكر صاحب المقال كيف كان عيد الفطر 1 شوال 1329 الموافق ل 24 سبتمبر 1911 يوم حزن عام في المدينة والمنطقة بكاملها، حزنا على الذين غادروا الى سورية، وتركوا وراءهم الأهل والأقارب والجيران". وأوردت الصحيفة ضمن أخبارها، أن السلطات الفرنسية قامت أمام هذا الهروب الجماعي، بغلق الحدود مع المغرب الأقصى. ولكن هذا الإجراء دفع بالمهاجرين الى الحدود التونسية والليبية، حيث سجلت مشادات دموية في قرية بن قردان بين حراس الحدود وبعض المهاجرين عند اجتيازهم للحدود، وكانوا بتعداد 142 شخصا[8].

أما صحيفة "الراشدي"، فقد أوردت قولا لأحد الشخصيات من الأهالي جاء فيه: "... عندما نتكلم عن مطالب الأهالي يقولون إن ممثلي الأهالي في

مختلف الجمعيات لا يذكرون ذلك... ولكن هل للأهالي حقا ممثلون؟ وهل ننسى الضغط الإداري مع كل حملة انتخابات، وهل هناك من مثقفين يرشحون أنفسهم؟ طبعا لا... لأنهم متأكدون مسبقا من فشلهم، فهم غير مرغوب فيهم في المجالس، أما في الجمعيات العمومية، فالمرشحون هم عموما من القياد [9].

تقرير لجنة Barbedette 1911:

جاء تقرير هذه اللجنة على إثر الضجة التي أثارتها الصحافة حول هجرة تلمسان، حيث تقدم المجلس البلدي بطلب الى الحكومة العامة، للمبادرة الى تعيين لجنة للتحقيق في أمر هذه الهجرة، على أن تكون شخصياتها ممن تتوفر فيهم ثقة الأهالي. فبادر الحاكم العام "ليتو" الى تعيين لجنة وضع على رأسها السيد باربيدات، وهو مندوب مالي [10].

والجديد في أعمال اللجنة أنها اتجهت الى استطلاع كل الآراء بما في ذلك؛ السلطات المحلية والمستوطنين والأهالي، وذلك تحت ضغط من بعض الفرنسيين الذين طالبوا أن تكون اللجنة موضوعية في أعمالها حتى تتمكن من التوصل الى الحقيقة. والجدير بالذكر هنا، أن الفرنسيين اعتبروا تلمسان مدينة مختلفة ومتميزة عن باقي المدن الجزائرية، وجعلوا منها؛ المدينة الوحيدة التي تحمل صفة الأصالة، خاصة من حيث عادات الناس وتقاليدهم. ف "ويليام مارسييه" وهو مدير مدرسة في تلمسان آنذاك يقول: "عرفت في تلمسان مجتمعا يعمل ليعيش، وهو المجتمع الأكثر أصالة في الجزائر كلها، وهو شديد التدين والمحافظة"

وفي عرضها لأسباب الهجرة وضعت اللجنة، مسألة التجنيد الإجباري على رأس الأسباب. فقد أوضح الأهالي، أن أبناءهم سيجبرون على مقاتلة مسلمين مثلهم في المغرب الأقصى، وهذا ما يرفضه الدين، كما سيجدون

أنفسهم مبعدين عن ممارسة شعائرهم الدينية. أما المسألة الثانية التي أثارت حفيظة سكان تلمسان، فكانت فصل الدين عن الدولة. حيث رأى الأهالي، أن نتائج قانون الفصل، ستكون وخيمة على المؤسسات الدينية، لأنه ليس بيد الأهالي أوقاف ينفقون منها على مؤسساتهم، لأن تلك الأوقاف، أصبحت ضمن أملاك الدولة. كما أنه يصعب على الأهالي تشكيل جمعيات دينية بسبب العراقيل والصعوبات التي سطرتها الإدارة لذلك.

وأبدى الأهالي احتجاجهم ورفضهم للقانون الذي سنه الحاكم العام السابق السيد "جونار" والقاضي بتقييد الملكيات الخاصة وفق القانون الفرنسي، وبعيدا عن قانون الأرض الخاص بالشريعة الاسلامية. وكان سخط الأهالي شديدا تجاه قانون الأهالي، الذي تطبق مواده على أي كان ولأتفه الأسباب. كما كثرت الشكاوي من الضرائب الثقيلة المرتفعة يوما بعد يوم. وأوضحت اللجنة أن الأهالي يطالبون بإعادة القضاة المسلمين للفصل بين المسلمين بدل قضاة الصلح المعينين من طرف السلطة. كما أن الأهالي أبدوا امتعاضهم من ضعف تمثيلهم في المجالس والجمعيات، في حين يحصل اليهود وأبناء الأجانب على حقهم في الاقتراع باكتسابهم الجنسية الفرنسية.

ولا يهمل التقرير الحديث عن الأزمة الاقتصادية التي يتخبط فيها المسلمون في تلمسان وفي غيرها من المدن الجزائرية. فهذه الأخيرة قد فقدت حيويتها الاقتصادية والتجارية نتيجة؛ تحول الأسواق عنها ومنافسة البضاعة الفرنسية، وخطوط السكك الحديدية التي كانت تنقل عبرها البضائع من المدن الداخلية الى وهران والمدن الساحلية للتصدير أو الاستهلاك. وسادت بين أهالي تلمسان مقولة "أن هذه السكك قد حملت عنهم الخير والبركة".

أما معاناة سكان الأرياف والمناطق الجبلية، فكانت خاصة من إجراءات قانون الغابات الذي أوصل الأهالي الى حالة من البؤس والفقر، بعد أن

طردوا في السابق من أراضيهم الخصبة وحوصروا في مناطق جبلية وغابية، وأصبحوا يعيشون من بيع منتوج حيواناتهم أو من بيع أكوام الحطب في المدن. وقد ينجر عن الاحتطاب أو الرعي من دون رخصة عقوبات صارمة، قد تصل الى الحبس لأيام عديدة حسب قانون الغابات.

خلصت اللجنة الى القول؛ أن الهجرة انطلقت من مدينة تلمسان لتشمل الضواحي والمدن والقرى ولاحظت اللجنة؛ أن هذه الموجة من الهجرة قد شجع عليها أيضا قدوم بعض الشخصيات المشرقية الى تلمسان، ومن هؤلاء محمد فريد بك، عضو الحزب الوطني المصري، والذي نزل ضيفا على القاضي سي شعيب. وكتب فريد بك عن رحلته هذه، التي تمت بين سنة 1903 ـ 1904 في مقالات نشرها في جريدة اللواء، وأنتقد فيها بشدة السياسة الفرنسية المتبعة في الجزائر. ومن الأسباب الأخرى أيضا، الرسائل التي كانت تصل الأهالي من المهاجرين الى الشام واطلاعهم أيضا على الصحف العثمانية والمصرية التي تدخل الجزائر خفية رغم المنع. وكل ذلك يكون قد أثار موجة من التعصب بين السكان. وأكدت اللجنة، أن الأهالي يرفضون الجنسية لأن الحياة الدينية للمسلم تمتزج امتزاجا كاملا بالحياة المدنية، ولا يمكنهم بأي حال التخلي عن قانونهم الشخصي.

وبعد مناقشة اللجنة لكل الشكاوي التي طرحها الأهالي، أبدت تأييدها لكثير من المطالب وقالت بحق الأهالي في التمتع بحياة كريمة، وطالبت من الإدارة بضرورة الاستعجال لإدخال إصلاحات على بعض القوانين التي تنظم حياة الأهالي المسلمين من ذلك؛ قانون الغابات، بحيث أنه تبين استحالة تطبيق قانون الغابات الفرنسي على بيئة غير البيئة الفرنسية. كما طالبت من جهة أخرى بالتوقف الفعلي عن حجز الأراضي لإقامة المستوطنات، وضرورة مراجعة قانون الضرائب ووضعه في إطار من المساواة والعدالة. وضمان تمثيل أحسن للأهالي في المجالس البلدية وفي اللجان المالية.

كما ايدت مطالب الأهالي الخاصة بقانون الأنديجينا. وأوضحت في الأخير أن هذه الشكاوي، لا تخص أهالي تلمسان وحدهم بل تشمل الجزائر كلها وأكدت أن مطالب الأهالي جديرة بالنظر والاهتمام. وبالمقابل أبدت اللجنة معارضتها لرفض الأهالي لقانون التجنيد الإجباري، ولكنها أوصت بعد اللجوء إليه إلا في الحالات التي تستدعي ذلك.

وعن المعلومات التي تخص الأماكن التي توجه إليها هؤلاء المهاجرون، تبين أن نسبة منهم اختاروا الإقامة في الاسكندرية والقاهرة، ومنهم من نزل في هاتين المدينتين، ثم أخذ طريقه الى دمشق أو الى مكة والمدينة. مع العلم أن غالبية مهاجري تلمسان كانوا من الميسورين، ولم يلاقوا صعوبات كبيرة في استقرارهم وهجرتهم. ففي برقية من وزير الخارجية الفرنسية الى الحاكم العام في الجزائر، يخبره؛ أن القنصل العام في الاسكندرية أعلمه عن وجود جماعة من حوالي مائتي جزائري من أهالي تلمسان موزعين بين فنادق المدينة[11]. وفي تقرير آخر للقنصلية الفرنسية في مرسين وأضنة، أن سفينة الشركة الخديوية حملت الى مرسين 500 جزائري بين رجال ونساء وأطفال غالبيتهم من سكان تلمسان وضواحيها، كان قد استقر بعضهم منذ أشهر في سورية ثم قررت الحكومة العثمانية، إسكانهم في نواحي أضنة[12]. في حين أوردت صحيفة الأخبار معلومة مفادها، أن 300 جزائري مهاجر عطلوا في ميناء مليلة ولم يتمكنوا من الإبحار نتيجة لما نتج عن الحرب التركية ـ الإيطالية من مخاطر على حرية الملاحة في اتجاه بلاد الشام[13]. وقد اعترف الفرنسيون أن الأخبار والمعلومات التي تتضمنها رسائل المهاجرين عن وضعيتهم الحسنة ليست خاطئة بل هي صحيحة في غالبيتها، وأعترف أحد القناصل أنه " بحسب السياسة الدائمة التي يتبعها الوالي العثماني في دمشق فإن المهاجرين يلقون الحفاوة والاستقبال وتسلم لهم الإدارة قرشين ونصف يوميا لكل فرد الى حين تمنح لهم قطع من الأرض...أما بعض الشخصيات

والتي يمكن أن تكون ذات فائدة دعائية، فإنه يمنح لهم من المال مقدار ما يشترون به قطيعا وآلات زراعية كما يمنح لهم السكن[14].

وهكذا، ومن خلال هذا العرض البسيط، يتضح لنا أن هجرة أهالي تلمسان، قد نالت قسطا كبيرا من الاهتمام خلافا للهجرات السابقة، والتي لم تكن أقل خطورة وكثافة منها. إلا أن هذه الأخيرة، كانت بمثابة المنبه الذي أيقظ الفرنسيين ودفعهم الى النظر في سلبيات وإيجابيات السياسة الفرنسية المتبعة في الجزائر.

الهوامش:

(1) l'exode des indigenes de Tlemcen , **in Afrique francaise** , janv 1912, p 38

(2) Bourdari , P : nouvelle exode algerienne , **in la Revue Indigenes** 6, 1911

(3) Conseil general d Oran : exode de Tlemcen , **rapport Barbedette**, oct 1911

(4) **l'écho d'Oran** : l'exode des indigènes de Tlemcen , n 14 oct 1911

(5) **AAE** , Algériens en Turquie , lettre du conseil général a M, Boppe le charge d'affaire a constantinople , damas 15dec 1910.

(6) **L AKHBAR** ,N 16, OCT 1911 , ARTICLE : L'EXODE ET LE SERVICE

(7) **EL HACK** , N 14 AVRIL 1911.

(8) **L'islam** , article : l'exode de Tlemcen , oct 1911.

(9) **el Rachidi** , n 26 oct 1911.

(10) أوضح الحاكم العام ليتو أنه لم يرغب في تكليف شخص واحد بإجراء التحقيق مما سيعطيه صفة إدارية بل قرر تكليف لجنة مؤلفة من إداريين وبرئاسة رجل أجنبي عن الإدارة وعن منطقة وهران .

(11) **AOM**, 9 h 105

(12) **AOM** ,9 105, Mercine 20 Nov 1911

(13) **l Akhbar**, op.cit.

(14) **AOM**, rapport varnier , juin 1910

دور الجزائريين في الجهاد الليبي

أ/محمد ودوع

جامعة الجزائر 2

قسم التاريخ

مقدمة:

تعرضت ليبيا في اليوم الرابع عشر من شهر أكتوبر من سنة 1911م الى الغزو الايطالي، وكانت ليبيا لا تزال تابعة للدولة العثمانية، وعليه فإن الحملة العسكرية بقدر ما كانت موجهة ضد ليبيا، كانت أيضا موجهة ضد الدولة العثمانية، لكن هذه الأخيرة لم يكن بوسعها دفع خطر الغزو الإيطالي عن ليبيا، وضاعت بذلك ايالة ليبيا كما ضاعت من قبل ايالتا الجزائر وتونس ،ورغم المقاومة العنيدة التي ابداها الليبيون لدفع صائلة العدو الا ان الاحتلال الايطالي تمكن من احتلال برقة في 19 أكتوبر 1911، ثمّ زحف نحو بنغازي، وإنقض بعدها على أغلب المناطق الساحلية لليبيا وذلك في غضون الشهر الأوّل - أكتوبر- من الغزو[1].

وكان الشّعب اللّيبي قد حصل له ما حصل للشّعب الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي لبلاده 1830، فالشعب الجزائري الذي لم يحكم بلاده قرابة الثلاثة قرون، وأبعد حتى عن أبسط المسؤوليات[2]" وجد نفسه عشية الحملة الفرنسية للجزائر وجهًا لوجه أمام قوات الاستعمار الفرنسي،بعد أن خلي عنه من كانوا يحكومنه، وهكذا تكرر الموقف فرغم أن هذه الحرب كانت موجهة ضد الدولة العثمانية باحتلال إحدى ولاياتها، إلاّ أن هذه الأخيرة عجزت عن

الدفاع عن الشعب الليبي وتخلت عنه كما تخلت عن الشعب الجزائري من قبل، حيث وقعت الدولة العثمانية مع ايطاليا على معاهدة الصلح "أوشى" في 18 أكتوبر 1912 وخرجت بذلك من ميدان الجهاد[3]

لقد كان احتلال إيطاليا لليبيا صدمة أخرى أصابت العالم العربي والإسلامي، بعد وقوع بعض الدّول العربية تحت سيطرة الاحتلال الأوربي[4]، بحيث انتشر خبر احتلال إيطاليا لليبيا بسرعة، وسمعت جميع شعوب العالم العربي والإسلامي به، وكان أول رد فعل قامت به هذه الشعوب ضد هذا الغزو هو القيام بإحتجاجات واسعة عمت اغلب بلدان العالم الاسلامي، وفي نفس الوقت شرعت بعض الشعوب العربية في جمع التبرعات لصالح الجهاد اللّيبي[5]، بحيث شهد هذا في كل من مصر وسوريا وتونس، وعبر هذه الأخيرة كانت تصل المساعدات القادمة من الجزائر ومراكش[6]، ولم تكتف الشعوب العربية بمواقف الإحتجاجات وتقديم المساعدات المادية فقط، فمع تطور الاحداث في ليبيا اصبحت هذه الشعوب تسعى للمشاركة في الجهاد دفاعا عن ليبيا، وفي هذا الإطار فإن الجزائريين كانوا في مقدمة المتطوعين العرب دفاع ليبيا[7].

ردود فعل الجزائريين تجاه الغوة الايطالي لليبيا :

رغم أن الجزائر كانت تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي عشية غزو ايطاليا لليبيا، إلا أن ذلك لم يمنع الجزائريين من الدفاع عن ليبيا مما كانت قد وقعت فيه بلادهم -الجزائر- من قبل، وقد جاءت مواقف تضامن الشعب الجزائري مع الجهاد الليبي مختلفة، فهناك من عبر عن تضامنه مع الشعب الليبي بالكلمة والقلم [8]، والاخر ساهم بماله ومادياته، والاخر انتقل الى ليبيا مشيا على الاقدام فنال شرف المشاركة في الجاهد الليبي، و قد كانت أول ردود فعل الجزائريين تجاه الغزو الإيطالي لليبيا بعد سماعهم الخبر سريعا، بعد ان هالهم

ماسمعوه فسكنتهم الحسرة والحزن، ويمكن التماس بعض جوانب هذه المشاعر من خلال كتابات عمر بن قدور الجزائري الذي عبر بصدق، فقدم وصفا لمشاعر الجزائريين وهم يرون بلدا عربيا آخر يسقط في يد الاستعمار الأوربي، حيث أظهر عمر بن قدور الجزائري من خلال تلك الكتابات امتعاضه من مواقف الامة الاسلامية تجاه مأساة الشعب الليبي، كما أبدى تعجبه وتأسفه من عجزالسلطة العثمانية في الدفاع عن ليبيا واستخفافها ببطولية شعبها[9]، كما كتب عمر بن قدور الجزائري سنة 1913 رائعة تحت عنوان « قتال طرابلس الغرب" فابدى في تلك القصيدة أعجابا متزايد بالشعب الليبي وإستماتته في مقاومة الغزو الإيطالي، فوصفه بأنه" مثال الحزم ومضرب للشجاعة من أهل "درنة" و"الخمس" و"بنغازي"، وأعتبر "ذلك الجهاد تخفيفا من جراح القلب"، كما اعتبر مقاومة الشعب الليبي بأنها رمز للصمود قائلا إن دفاع وجهاد الليبيين في دفع صائلة الغزو الإيطالي كان مضربا لشجاعة أهل طرابلس الغرب "الذين لو لا مثابرتهم لقلنا سلام على الشرق والشرقيين إلى الأبد"[10].

لم يكتف الجزائريون في دعمهم للجهاد الليبي بالقول فقط، بل تعدت مظاهر الدعم إلى مجالات أخرى،كجمع التبرعات والمؤن، وفي هذا الجانب نشير الى شهادة تاريخية لاحد الليبيين قدم من خلالها صورة رائعة عن مدى تضامن الجزائريين مع إخوانهم الليبيين، وبناء على شهادة هذا الليبي فإنه يذكر انه لما سمع بخبر تعرض بلاده للغزو الايطالي هرع للدفاع عن بلاده، فانتقل من تركيا –حيث كان ضابطا بالجيش التركي_، مارا بفرنسا ثم الجزائر وأثناء مروره بالجزائر التقى ببعض بأعيان بمدينة قسنطينة، حيث سرّوا به كثيرا، وذكروا له أنّ الجزائريين يعلّقون الأمل الكبير على الجهاد الليبي و انّ خلاصهم من الاحتلال الفرنسي يتوقف على نتيجة جهاد اللّيبيين قائلين له :"إن أنتم تخلّصتم من الاستعمار وكسبتم حريتكم فسيبقى لنا امل، وسيبقى

طريق الخلاص مفتوحا أمامنا"، ومـن أجـل جمـع التبرعـات للشّـعب اللّـيبي عقدت إجتماعات، وخطب احد اعيان المدينة في الحاضرين حاثا اياهم علـى جمع التبرعـات، ومـا إن أتمّ كلامـه حتـى تهاطلـت التبرعـات مـن الرجـال والنساء، حتى أن النساء كانت تقـدّمن المصـوغات الذهبيـة والفضـية أسـوة بالرجال، الذين كانوا يتبرعون بنقودهم وما يملكون [11]

لقد كان لمثل هـذه التبرعـات الأثـر الإيجـابي علـى معنويـات المجاهـدين الليبيين، حيث كانت مواد التموين تاتي من الجزائر عن طريق تونس ثم بـن قرادن وغدامس إلى ليبيا ،وأكدّ أكثر من شاهد عيان أنذاك أن قوافل التموين والتبرعات كانت تعبر باستمرار الحـدود الجزائريـة متوجهـة نحـو ليبيـا، وأن الكثير من هذه القوافل التي كانت تقـل التبرعـات للمجاهـدين الليبـيين قـد لقيت حتفها وهي في طريقها نظرا لطول المسلك وقلّة الماء وإنعدام الراشدين بطرق الصحراء ،حيث لقي منهم في سـفرة واحـد إثـني عشـرة (12) رجـلا مصرعه لضياعهم في وسط الصحراء [12].

مشاركة الجزائريين في الجهاد الليبي:

شهدت المقاومة الليبية عشية الغزو الإيطـالي لليبيـا سـنة 1911 الألاف مـن المتطـوعين الجزائـريين القـادمين إلى ليبيـا لمـلآزرة إخـوانهم الليبـيين[13]، فهنـاك شهادات كثيرة من الليبيين تؤكد الدور الكبير الذي لعبه الجزائريـون في المقاومـة الليبية، ومن بين الجزائريين الذين كان لهم شأن في هذا المجال نذكر الأمـير علـي باشا وهو ابن الامير عبـد القـادر الجزائـري الـذي خـاض مقاومـة كـبيرة ضـد الفرنسيين في بداية الاحتلال استمرت حوالي خمسة عشر عاما، وكان الى جانـب الامير علي باشا إبنه الأمـير عبـد القـادر الجزائـري[14] ،ولاتـزال كتـب تـاريخ المقاومة الليبة تذكر بسالة وبطولة هـذين الـرجلين في المعـارك الـتي خاضـاها في منطقة "سواني بن يادم" مع حوالي عشرين جزائريا آخرين.

وإلى جانب دورهما في المقاومة العسكرية ضد الغزاة الايطاليين فإنّ الامير علي باشا وابنه الامير عبد القادر الجزائريين لعبا دورا آخر دعما للجهاد الليبي، يتمثل في ربط الإتصال بين المقاومة الليبية في الداخل وبين المناضلين الذين كانوا الخارج، فقد عمل الأمير علي باشا الجزائري كمراسل لبعض الصحف العربية، فكان يمدها بأخبار وتطورات الأحداث في ليبيا، ومنها جريدة الزهرة التونسية، التي تحدث في احدى رسائله إلى هذه الجريدة بتاريخ 13 محرم 1330هـ[15] عن مسار المقاومة في بعض المناطق الشرقية من ليبيا وكيف" أنّ الشّعب اللّيبي لا زال يجاهد بإرادة كبيرة"، طالبة من الدولة العثمانية دعم المجاهدين في ليبيا[16].

كما كان الأمير عبد القادر الجزائري يقوم بما كان يقوم به ابيه الامير علي باشا الحسيني الجزائري ايضا، بحيث كان يعمل شبه مراسل لبعض الصّحف العربية ويزودها بالأخبار حول العمليات الجهادية الدائرة في ليبيا، فهناك رسالة ضمنها تفاصيل رحلة والده الامير علي باشا من بنغازي إلى طرابلس، وقد وصف فيها جهاد ومقاومة الليبيين، وكيف هبوا كالبنيان المرصوص لمواجهة القوات الإيطالية في منطقة سرت التي أحدث الغزاة بها ضررا وخربوا دار محمد أفندي الجزائري الخالدي كاتب التحريرات، وجاء في هذه الرسالة أنّه بعد يومين من هذا الإشتباك قام الأمير علي باشا الجزائري على همّه إعادة تنظيم المجاهدين وحرّضهم على الجهاد ثمّ أمر مشايخ واعيان مناطق "الحسون" و"الغريان" و"المعدان" بالرجوع الجهاد[17].

ويبدو من أنّ الأمير علي باشا الجزائري كانت له مكانة كبرى لدى المجاهدين اللّيبيين وخاصة الشّعب اللّيبي عامة ففي رسالة أخرى يصف فيه كيف أنّ جموع المجاهدين في بعض المناطق اللّيبية مثل (" مصراته، زليطن، الساحل، ولبدة، وكذا معسكر الخمس) "قد هاجت واهتزّت طرابلس بقدوم " سيدي علي" وذكر أنّه عاجز عن وصف ما وقع لهم من حسن القبول وما

شاهده من الحياة القومية التي أنستهم -على حدّ تعبيره -الأهل و وطنهم الأصلي."[18] وتضيف هذه الرسالة أن الأمير علي باشا الجزائري كان بدوره يرحب بجميع الوافدين ويوجّه لهم عبارات الشكر والثناء على ما أبدوه من الحمية والشهامة العربيتين في الدفاع عن حوزة الإسلام ويحثهم على المقاومة والصبر والثبات حتى أنّ اليهود كانوا يبكون تأثرا منذلك المشهد .[19]

ويذكر الامير عبد القادر في رسالته هذه ان خطاب ابيه الأمير علي باشا الجزائري الذي ألقاه على جموع المجاهدين اللّيبيين كان له الاثر الكبير، فبعد هذا الخطاب "توافد العلماء والأشراف والأعيان على قائمقام منطقة مصراتة[20] وقالوا له أنّ خطاب الأمير علي باشا الجزائري قد أثّر فيهم، حتى العامة عموما جاءوا يطلبون المساعدة للإلتحاق بإخوانهم في معركة الجهاد بمعية الأمير، "، فقد رفع ذلك الخطاب حماس المقاومين اللّيبيين فاندفعوا جميعا لحمل السلاح الأمر الذي جعل القائمقام يقوم ببعث "تلغراف" إلى الأمير علي باشا الجزائري يرجوه تسكين هيجان الأهالي وتهدئتهم، وهكذا كان الحال في كل منطقة حلّ بها الأمير علي باشا الجزائري [21]، وهناك رسالة اخرى بعثها الأمير عبد القادر الجزائري في 19 ماي 1912 م إلى جريدة الزهراء التونسية، وكانت مراسلة خاصة عن وصول موكب والده الى مصراته يذكر فيها الاعتداء والغزو الإيطالي لليبيا وسكوت "أوروبا مثال الحرية والعدل "عن ذلك، عند ذلك علم اللّيبيون أنّ لاسندا لهم إلاّ اللّه وأنفسهم فسارعوا إلى ساحة الحرب لقتال العدو،"فأذقناه كأس الموت والبسناه ثوب البلاء، وكذبنا بأعمالنا وأقوالنا مدعيات إيطاليا وقولها أننّا دعوناها لإصلاح بلادنا فلهذا القصد الشريف توجه حضرة الأمير علي باشا لمواقع القتال وشهد الأهالي والمجاهدين وحثّهم على الجهاد وحرضّهم على الدّفاع عن البلاد[22]، كما تجدر الاشارة هنا ذكر الدور الذي لعبه أحد الجزائريين في عمليات الإتصال وهو عبد اللّه الجزائري خطاط الزاوية

القادرية بليبيا، فقد كان ينقل المعلومات والأخبار بين الوطنيين اللّيبيين في الداخل والخارج، كما كان يقوم بنقل الأخبار وربط الإتصالات بين مناطق طرابلس الغرب وبين برقة[23]،

دور مصطفى عوني التفراوي الجزائري في الجهاد الليبي :

أ- رحلة البحث عن الجهاد: يدعى الحاج مصطفى عوني التفراوي المعسكري الجزائري من مواليد 1312هـ، من أسرة فلاحية فقيرة بمعسكر، دخل الكتاتيب العربية حيث حفظ القرآن في السادسة عشر من عمره، وقرابة فإنّ التفراوي يذكر بأنّه من أقارب المجاهد الأمير عبد القادر[24]. ويذكر التفراوي إنّ صورة ظلم الاستعمار الفرنسي له ولبقية الجزائريين كانت أهم صور أثّرت في حياته، وذلك من خلال عمليات التفتيش المستمرة التي كان يتعرض لها كل الجزائريين، وكذا نظرة الإحتقار لكلّ من هو جزائري، وتجسد ذلك عمليا في مظاهر القمع وتسلط المعمرين على الجزائريين لأبسط الأمور.[25]

ومن بين الصور التي احتفظ بها عوني التفراوي، أنّه ذات مرة كان واقفا مع صديق له في الشارع، وكان جنديا فرنسيا بقربهما، وقد ابتسم عوني إثر كلمة مزح من صديقه، فنظر إليه ذلك الجندي الفرنسي فظنّ أنّه إبتسم سخرية منه، فاخذ بعدئذ التفراوي مباشرة إلى السجن فتعرض للضرب والاهانة فكان ذلك عاملا آخر زاد من كرهه المستعمرين، وأقسم بمحاربة الفرنسيين حيث تلوح الفرصة[26]، وقد عرف مصطفى عوني هذه الحادثة وهو لا يزال طفلا يزاول دراسته بإحدى الكتاتيب القرآنية، ولعل صغر سنّه هذا هو الذي اشفع فيه فأفرج عنه بعد ذلك[27]، وفي هذا الوقت بدأت فرنسا تجمع الشباب الجزائري للخدمة في صفوف الجيش الفرنسي، فأخدوا بعض الشباب وترك أمره لكونه كان لا يزال صغير السن، ولكن ما لبث أن جاء دوره فكان الموقف جدّ صعب بالنسبة لمصطفى عوني التفراوي ،فوقف

التفـراوي حـائرا بـين قلبـه المليء بـالكره للمسـتعمرين وبـين قـوّة أوامـر الاستعمار[28]، ووسط حالة الحيرة والألم كان لابدّ على مصطفى عـوني مـن اتخاذ الموقف الذي يريح ضميره، فعزم على رفض الخضوع لقوّة الاسـتعمار ،حيث يذكر بأن عزة نفسه كانت أقوى وإرادة الرفض كانت أكبر "[29].

وقد صادف وقت عملية التجنيد هذه موعد الحج، حيـث كـان لـه أحـد الأقارب اعتاد الذّهاب إلى مكّة سيرا على الأقدام، يخرج من معسـكر غـرب الجزائر متجهّا إلى الشّرق حتى يؤدي فريضة اللّه وهنا يذكر مصـطفى عـوني التفراوي بأ،ه إهتدى بتفكيره الى جاره هذا فـذهب إلى بيتـه وطلـب منـه أن يطلعه على موعد رحلته، لكن يبدو أنّ قريبه أشفق عليـه ورفـض صـحبته، وهكذا فوجئ عوني بمغادرة قريبه البلدة دون أن يعلمه، فما كان عليه إلاّ أن يتبع أثره دون أن يفكر في أي أمر آخر، بل ذهب بملابسه الـتي كـان يرتـديها دون تعويل على شيء من النقود، وحتى أسـرته لم يتسـع الوقـت لتوديعهـا، ويذكر التفراوي أنّه إكتفى فقط بكتابة على ورقة صـغيرة طلـب منهـا عـدم البحث عنه "لأنني لا أعرف أنا نفسي إلى أين أسير "[30]

بدأت المسيرة الكبرى بالنسبة للتفراوي وكانت وسيلة المواصلات الرائجة في ذلك الوقت هي "الكرّوسة" التي يجرّها الخيـل، فالسـيارات كانـت لا تـزال نادرة وأجرة الركوب فيها مرتفعة الثمن وهكذا كانت بداية المسيرة، وحصل الأمر أن إلتحق بقريبه في إحدى القرى، فواصل المسيرة معـه شـهرا كـاملا، ويذكر عوني أنّ الصدور كانت رحبة والنفوس كانت واسـعة وهـذا في كـل قرية حلوا بها " وكانت جملة واحدة كافيـة لتبديـد أمـور المعيشـة طيلـة ذلـك السفر وهي " ضيوف ربّي "حتى أنّهم كانوا يشفقون على مضيفهم مـن تكبـد مشاق المبيت"[31]، وأثناء هذه المسيرة كان الركب يتجنب الطرق الرّئيسة الـتي يتواجد فيها البوليس والجنود الفرنسيين، خشية الوقوع في بعض المشاكل التي

قد تعطل إن لم نقل تلغي هذه الرحلة، وهذا حتى دخلوا التراب التونسي، وهنا كانت بالنسبة للموكب انه وصل إلى مفترق الطرق[32].

فقد بدأ العياء يظهر على الفتى فعلا وكان لابد من أخذ إستراحة قصيرة فحصل ذلك، في ميناء" رديف" ويذكر مصطفى عوني أنّه أثناء استغراقه في النوم، استيقض ليجد رفاق سفره قد أكملوا المسيرة وبقي وحيدا، فإضطر مصطفى عوني للعمل بهذا الميناء، الذي كان يعمل به أكثر من ثلاثة آلاف عامل، منهم الجزائريون، المغاربة، التونسيون واللّيبيون، وبعض الأجانب من الأوروبيين [33]، فاشتغل هنا حوالي سنة، و مع نهاية العام "1914" اندلعت الحرب العالمية الأولى، وكان لابدّ ممّا ليس منه بد ،فقد قلّت فرص العمل وجرى الإستغناء عن العمال، وأثناء فترة عمله هذه بميناء رديف كان مصطفى عوني قد تعرّف على بعض الإخوة اللّيبيين الذين جرى الاستغناء عنهم وبدأوا يستعدون للعودة إلى طرابلس، فطلب منهم عوني إن كانوا يقبلون الشهادة بأنّه ليبي حتى يعود معهم إلى طرابلس، فوافقوا وأظهروا مروءة و رجولة نادرة واقسموا أنّه ما دام قد قصدهم فلن يتركوه، وعلى الفور إشتروا له ملابس ليبية، وفي الطريق طلبوا منه الإمتثال لما يقولون تأمينا لأنفسهم وله، فأملوا عليه أن يصرح بأنّه من منطقة زوارة ومن عائلة "ابن شعبان" حيث هم كذلك[34]، وبعد ليلة من السير على الباخرة وصل الركب إلى طرابلس، فمكث مصطفى عوني عند بعض الليبيين هناك، ثم واصل السير إلى زيلطن، حيث التحق بمدرسة القرآن في زاوية طريقة "سيدي عبد السلام الأسمر" وهذا بعد ان كان قصدها للإستراحة، وعندما علم أن الإنتساب إلى هذه الزاوية للتعليم لايكلف إنظم إليها للدراسة [35].

دور مصطفى عوني التفراوي في الجهاد الليبي :

عشية إندلاع الحرب العالمية الأولى 1914 كانت ليبيا تعيش أجواء حربية مزدوجة، فإلى جانب مقاومتها للغزو الإيطالي منذ سنة 1911، اضحت ليبيا ميدانا للحرب بين الحلفاء ودول المحور وفي هذه الظروف الصعبة التي أصبحت تعيشها ليبيا، تخلى التفراوي عن مزاولة طلب العلم [36] و كتب طلبا لنوري باشا أحد قادة المجاهدين الليبين طالبا منه الالتحاق بالمدرسة العسكرية والإنظام إلى صفوف المقاومة[37]، ويذكر التفراوي أن ذكر في طلبه هذا حقيقة طالما تحرج من ذكرها وهي أنه ابن عم المجاهد الكبير الأمير عبد القادر الجزائري، حيث كانت هذه العبارة قد إستوقفت نوري باشا الوالي التركي السابق، فطلب مقابلة التفراوي وأصبح بعد ذلك هذا الاخير طالبا في المدرسة العسكرية إستعداد للإنظمام الى صفوف المجاهدين[38] .

إنتقل التفراوي من زليطن إلى مصراته حيث المدرسة الحربية ومقر "نوري باشا"، فدخل "مدرسة عبدالرحمن نافذ"، وكان نور باشا قد منح التفراوي تسهيلات كبيرة منها السماح له بالذهاب للمقهى والدخول والخروج للمدرسة في أي وقت، وإعفائه من القيام بنوبات الشهر "النوباتجية" ولعلّ سبب التكريم هذا كلّه نتيجة قرابته للأمير عبد القادر، كما أفردوا له حجرة خاصة به، وكانت أوجه التكريم ظاهرة وملحوظة، وحتى رمضان السويحلي الذي كان يشرف على المدرسة تساءل عن سبب تلك الحضوة التي كان يتمتع بها التفراوي، فأخبره بعض الطلبة أنّهم يعتقدون أنّه كان قريبا لنوري باشا أو أنّ ثمة علاقة بين الأسرتين[39]، لكن لما عرف رمضان السويحلي أن مصطفى عوني هو أحد أقارب المجاهد الأمير عبد القادر الجزائري عمل هو الاخر على ترقيته وأمر قائد الجندرمة محمد الحداد بأن يخصص له حصانا ليستعمله في تنقلاته، وفي هذه الأجواء ازداد التفراوي حبا لليبيا وللمجاهدين واصبح اكثر شوقا للجهاد فواصل معهم الجهاد في مختلف

الجهات خاصة مع القائد رمضان بك السويحلي، والذي بقي ملازما له حتى إنتهاء المقاومة في طرابلس عقب صلح "بني يادم" 1919 [40]،

ويجب أن نشير هنا الى إن التحاق مصطفى عوني بصفوف الجهاد الليبي ثم دوره في هذه الجبهة لا يمكن لإلمام به، فالمعلومات التي توصلنا اليها والشهادات الليبية التي تحصلنا عليها كلّها تؤكد على أن مصطفى عوني كان بمثابة قاموس الجهاد الليبي عبر مختلف مراحله[41]، وهذا نظرا لحضوره الكثيرة من المعارك وكذا للدور الكبير الذي لعبه في الدفاع عن ليبيا، وفي هذا الجانب يذكر مصطفى عوني أن معركة القرضابية الشهيرة التي حدثت في أفريل 1915كانت من أهم المعارك التي خاضها الليبيون ضد الإيطاليين، حيث كانت بعد سلسلة من الإشتباكات بين الطرفين وأن الإنتصار الذي حققه الإيطاليون في البداية قد تحول إلى هزيمة ساحقة ضدهم بعد ذلك، وهذا بعد خديعة من طرف قائد المقاومة الليبية رمضان السويحلي الذي تظاهر بالتعاون مع الإيطاليين، ليشن بعد ذلك هجومات عليهم، [42].

وبعد هذه المعركة واصل الطفرواي مشاركته في الجهاد الليبي، بحيث يذكر أنه مباشرة بعد معركة القرضابية حوصر الإيطاليون الموجودون في منطقة السوق وكذا سواني بن يادم، فتوثق الحصار ضدهم ثم شن الهجوم عليهم، وفي هذه السنة 1915 شارك عوني في عدة معارك من بينها معركتي "مصراتة" التي أصيب فيها المجاهدون بخسائر في الأرواح وصلت إلى (60) جريحا و(120) شهيدا،و معركة "راس طوبة" ثم معركة الكزاز، التي أخذ المجاهدون الثأر لأنفسهم واضطر الإيطاليون الى الفرار من الميدان تاركين العديد من القتلى وكميات كبيرة من الأسلحة[43].

واصل عوني الطفراوي مسيرته في المقاومة و الجهاد مع اللّيبيين وكان يشارك في كل المعارك التي تجري قرب المناطق التي يتواجد بها، بل أنّه كثيرا ما تحول من مجاهد حامل للسّيف إلى قارئ للقرآن ليلهب إخوانه في الجهاد،

وما إن تعود المعارك حتى يكون في مقدمة المقاومين، وهكذا كانت الإشتباكات مع القوات الايطالية، كر وفر، إنتصارات وهزائم، غير انّ قوات العدو كانت آخذة في التوسع لإحتلال مناطق أخرى، وإستمر معها المجاهدون مقاومين لها، وقد دام ذلك الحال من سنة 1915 إلى 1919 حيث وقع صلح "بني يادم."[44] والذي انهى المقاومة الليبية بالجبهة الغربية بطرابلس، وبغض النظر عن فحوى هذه المعاهدة التي أقل ما يقال عنها أنّها كانت حيلة من حيل الاستعمار الإيطالي لتفريق جبهة القتال اللّيبية واحتلال المنطقة بعد الأخرى كالذي فعلته فرنسا مع المقاومة الجزائرية عشية احتلالها الجزائر، حيث كانت قد وقعت معاهدات صلح مع الأمير عبد القادر لتتفرغ بعد ذلك الى القضاء على المقاومة الجزائرية التي كان يقودها أحمد باي بالجهة الشرقية، وبعد ذلك رجعت إلى محاربة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري وتمكنت من القضاء على مقاومته[45].

إن سياسة الخداع هذه قد تفطّن لها مصطفى عوني التفراوي، لذلك رفض معاهدة الصلح مع الاستعمار الايطالي رفضا قاطعا، كما إمتنع عن الدخول في مفاوضات مع الإيطاليين وانسحب بجنوده الذين كان يرأسهم صحبة جزائري آخر يدعى عبد المالك وليبي يدعى محمد المصراتي[46]، ورفض مصطفى عوني للاحتلال الايطالي ليس فقط في حمله للسلاح ضده، وكذا رفضه لمعاهدة الصلح واستمراره في المقاومة إلى جانب بعض اللّيبيين، بل رفضه للاحتلال الإيطالي كان ايضا في عدم الإحترام لقادة الجيش الإيطالي، وفي هذا يذكر مصطفى عوني بإنّه أثناء مفاوضات بعض قادة المقاومة اللّيبية مع الإيطاليين، كان الطفراوي قد استدعى هو الأخر من قبل "بيري" أحد قادة الجيش الإيطالي وطلب منه تقديم التحية العسكرية للإيطاليين في احترام فكان جواب التفراوي "لا أقدم التحية للشيطان" وهذا رغم أنّ بعض الضباط اللّيبيين كانوا قد قدّموا التحيّة، وبعد عودتهم من ذلك وبخهم عوني التفراوي على ذلك الموقف المسيئ

قائلا لهم "كيف يحدث ذلك ونحن الذين كنّا بالأمس مجاهدين حاملين السلاح في أيدينا، واليوم نقدّم التحية للأعداء"[47]، وبعد هذا الإجتماع الحاشد رجع عوني وجيشه دون الإعتراف بالاحتلال الإيطالي ولا حتى ببنود الصلح واستمر مع رمضان بك السويحلي في مقاومة العدو في جنوب البلاد -غدامس- وظلّ ملازما له حتى احتلال إيطاليا لآخر معقل من معاقل المقاومة الليبية في الجبهة الغربية لينتقل بعد ذلك إلى المقاومة في الجبهة الشرقية رفقة عمر المختار[48].

ويذكر مصطفى عوني التفراوي أنّه بعد معاهدة الصلح دخل بعض الزعماء الطرابلسيين وذلك بعد أن اعترفوا بهذه المعاهدة، واعتبروا كل معارض لعين، وأدوا التحية العسكرية للجيش الإيطالي، والتي كانت تعني الإحترام والخضوع له، وكل ذلك كان قد أثّر كثيرا على عوني، حتى أنّ الذين كانوا تحت قيادته من الجند اللّيبي لاحضوا علامات التعب والأسف عليه، أما الذين بقوا من الجند رافضين لمعاهدة الصلح فكانوا يأتونه ليلا، وحدث أن أتوه يوما في منتصف اللّيل يطلبون منه الرأي حول الموقف الذي يجب اتخاذه من طرفهم[49]. فامرهم التفراوي بحمل السلاح بسرعة وأن يبقوا مدافعين على أنفسهم و استمر ذلك إلى غاية سنة 1923، أمّا عوني فقد بقي مع قلّة من الجند اللّيبيين في منطقة قرب طرابلس "جنزور" واتصل برمضان السويحلي حيث اتفق معه على ضرورة مواصلة الجهاد" وعدم الخضوع إلى أوامر الخونة"[50].

وبعد انحصار المقاومة في طرابلس إلتحق عوني مباشرة بعد ذلك بصفوف المقاومة الليبية في المنطقة الشرقية، والتي كان يقودها عمر المختار، وفي هذه المنطقة خاض أغلب المعارك إلى جانب عمر المختار الأمر الذي جعل هذا الأخير يجعله محّل ثقة كبيرة ويصبح من المقربين إليه، إلى جانب ذلك فقد كلفه عمر المختار بمهام الوساطة في جمع التبرعات والمؤونة للمقاومة اللّيبية بحيث كان واسطة بينه وبين لجنة التبرعات بمصر، و بقي عوني التفراوي في

إتصال بعمر المختار إلى غاية استشهاد هذا الأخير في أواخر سنة 1931 وانتهت بذلك المقاومة العسكرية اللّيبية[51].

وبعد إستشهاد عمر المختار حاولت المقاومة الليبية إسترجاع أنفاسها، لكن سرعان ماحقق الحصار المضروب من طرف العدو نتائجه، فلم تصل المؤونة والعتاد إلى المقاوميين من الشرق نظرا للحصار الذي طوق شرق ليبيا بالأسلاك الشائكة والحراسة، وكانت هذه الظروف الصعبة عاملا آخر دفع الليبيين الى اللجوء إلى المقاومة السياسية ضد الاحتلال الإيطالي الى غاية الاستقلال [52]، أما مصطفى عوني التفراوي فقد هاجر الى مصر بعد استشهاد عمر المختار، وبقي ملازما للمناضلين الليبيين هناك، وقبيل الحرب العالمية الثانية دخل إلى الجزائر ولكن إندلاع الحرب وتدهور الأوضاع دفعت به للخروج مرة ثانية لكنه لم يستطع وشعر بمضايقات فرنسية، فخرج خفية ودخل ليبيا مرة أخرى سنة 1944 [53]، وبقي في ليبيا إلى أن تحصلت ليبيا على الاستقلال وتوفي بها في اواخر سبعينات القرن الماضي .

هوامش:

---

(1) بر وشتين، ن، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969، د: عماد حاتم، طII منشورات مركز دراسات الجهاد اللّيبي ضد الغزو الإيطالي، 1988، ص 107.

(2) حول الموضوع أنظر، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، القسم الاول، المؤسسة الوطنية للكتاب، سنة 1993 ص19.

(3) محمد علي بوشارب، "مصادر ونظم التموين في حركة الجهاداللّيبي"، مجلة الشهيد م دج ل عدد 4 سنة 1983 ص 66

(4) احتلال فرنسا لكل من الجزائر 1830 و تونس في 1881

(5) بروشتين، المرجع السابق، ص144.

(6) الحسناوي، حبيب وداعة، "دور الشعب العربي الليبي بمنطقة طرابلس في مساندة الثورة الجزائرية 1954-1962 من خلال وثائق أخذ أعضاء لجنة دعم الثورة الجزائرية بطرابلس". بحث غير منشور

(7) أبو القاسم، سعد الله: هموم حضارية، دار الأمة، م1، الأول، سنة 1993، الجزائر،ص.123.

(8) صالح خرفي، عمر بن قدو ر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص.ص55 103.

(9) نفسه، ص.103

(10) خليفة، خالد، "مذكرات ضابط ليبي". مجلة الأفكار.، ط.1 العدد 6، ماي 1956 ص.35

(11) صلاح الدّين، حسن السوري، حبيب وداعة، **دراسات و بحوث في التاريخ الليبي1911-1943**"، جII منشورات مركز د،ج،ل، ضد الغزو الإيطالي، 1984، ص323

(12) صلاح الدّين، حسن السوري، حبيب وداعة، مرجع سابق، ص 61

(13) 13- نفسه، ص18

(14) محمد بن معمر، **علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله**، مدونة أشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة (1895-1942) ورقلة سنة 1998 ص 63

(15) نفسه، ص. 64.

(16) و ذلك بإشتعال عدة ثورات شعبية منها ثورة ناصربن شهرة 1846و ثورة الزعاطشة 1849.

(17) محمد بن معمر، المرجع السابق ص64.

(18) مصطفى أحمد بن حليم، **صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي**، مذكرات ؤئيس وزراء ليبيا الأسبق، مطابع الأهرام التجارية، مصر ط1992،2، ص92.

(19) نفسه، المرجع الساب ،ص ص92 –93

(20) محمد بن معمر، **المرجع السابق،** ص.61

(21) نفسه، ص92

(22) أبو سعد القاسم، سعد الله: هموم حضارية، ص.123

(23) محمد علي أبو شارب، " مصادر ونظم التموين في حركة الجهاد الليبي"، مجلة الأفكار، نشرة دورية يصدرها، م.دج.ل ضد الغزو الإيطالي، عدد 04 سنة 1983، ص64.

(24) محمد، صالح الجابري، يوميات الجهاد اللّيبي في الصحافة التونسية، مجلد II، 1912–1932، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1982 ص248.

(25) محمد ،صالح الجابري ،المرجع السابق ص249.

(26) محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص347.

(27) نفسه،ص349.

(28) محمد صالح الجابري نفسه،ص 349

(29) محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص188.

(30) نفسه، ص189.

(31) محمد صالح الجابري ،المرجع السابق ص188.

(32) الهادي، إبراهيم المشيرقي، ذكريات في نصف قرن من الأحداث الإجتماعية والسياسية، منشورات م.ح.ل.د.ث، سلسلة الوثائق التاريخية، (7)، 1988، ص 31–32–50–61.

(33) جمعة عبد الصبور، " هذا الرباط المقدس، بين جيل الجزائر والجيل الأخضر"، الأسبوع الثقافي، عدد 5، جمادى الثانية 1398ه، ص 16.

(34) جمعة عبد الصبور،المرجع السابق، ص16

(35) نفسه، ص16.

(36) جمعة عبد الصبور، " هذا الرباط المقدس، بين جيل الجزائر والجيل الأخضر.مرجع سابق

(37) نفسه، ص16.

(38) نفسه، ص16.

(39) جمعة عبد الصبور، المرجع السابق، ص. 16.

(40) جمعة عبد الصبور، المرجع السابق، ص. 16.

(41) جمعة عبد الصبور، المرجع السابق، ص.16

(42) جمعة عبد الصبور " الفرع مع دوي صاحب أدأن الفجر: المرجع السابق العدد 12 جمادي الأخرة 1398 هـ

(43) نفسه ص 15.

(44) شريط مصطفى عوني التفراوي، لدى المشيرقي المرجع السابق.

(45) نفسه .

(46) جمعه عبد الصبور، "الفزع مع دويأذان صاحب الفجر." ص18.

(47) جمعه عبد الصبور، " و تكرر الهلال قرب الشواطي،" للأسبوع الثقافي، 19 جمادى الأخيرة 1398 هـ ص18.

(48) نفسه ص15.

(49) حديث عوني، مسجل لدى ابراهيم الهادي المشيرقي.

(50) نفسه ،

(51) نفسه

(52) نفسه

(53) نفسه

دور الرياضيين الجزائريين المهاجرين بفرنسا في الثورة التحريرية

أ/ أحمد عصماني

جامعة الجزائر 2

لا شك أن الرياضة تعد نشاطا مورس منذ القدم؛ مثل السباحة والفروسية والسباق والمشي إلى آخره، وقد جاء في الأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بشأن الرياضة- وما تمده من منافع صحية ونمو سليم لممارسيها من المسلمين "علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل"، وفي الغالب بات النشاط الرياضي وسيلة للتربية البدنية واكتساب القوة الجسمية خاصة لدى الجيوش التي كانت تستعد لخوض الحروب، وما لبث أن عرفت الرياضة تطورا مذهلا بتطور Pierre-Lebasالبشرية عبر الأزمنة الغابرة، فأصبحت الرياضة عند البعض ثقافة، فالمفكر بيار لوبالوبا

جعل الرياضة ثقافة بعروضها الإنسانية، ذلك أن المنطق المستوحى منها بقدر ما يقصد به استغلال الفضاء والزمن بقدر ما يعني استغلال المحيط الاجتماعي[1]

والحقيقة أن الرياضة بممارستها ظهرت كإحدى النماذج الهامة في إحياء الشعور الوطني لدى أفراد ومجتمعات الدول والأمم الحديثة، فبعد عام 1918 صارت تعبيرا عن الكفاح الوطني، وكانت فعاليتها وستبقى وحيدة كوسيلة لإيقاظ الشعور الوطني، ففي البلدان التي عانت من الاستعمار وتحصلت على استقلالها حديثا تحولت الرياضة لديها إلى عامل إنعاش وتمثيل، ومؤشر على دينامكية الشباب، فضلا عن فعالية السياسية المحلية والجهوية لديها، وأخيرا

الوصول إلى التحكم في عدد من الكفاءات لدى رياضييها ،وعليه باتت الرياضة بذلك وسيلة في استرجاع كل نجاح سياسي وأضحى اللاعبون الأبطال في خدمة قضايا شعوبهم الوطنية[2]... وإذا قدر للنشاط الرياضي بلوغ هذا المستوى من الأهمية، فهل لعب الرياضيون الجزائريون دورا ذا شأن في مسيرة الحركة الوطنية وانتصار ثورة أول نوفمبر 1954؟ .

الرياضيون الجزائريون من مجاراة النوادي الاستعمارية إلى الهجرة نحو فرنسا:

كانت الرياضة بالنسبة للشباب الجزائري فرصة للمنافسة وسلاحا شرعيا في مقارعة الأقدام السوداء، ولم لا السفر من أجل معرفة العالم. وإلى غاية عام 1936 كانت النوادي الرياضية بالجزائر تسير إجباريا من طرف فرنسيين والتي لم يكن في مقدورها ضم سوى خمسة لاعبين جزائريين[3]، فهل كان الأمر يتعلق بمنع بروز أي تركيبة في صفوف الأهالي من شأنها أن تشكل تهديدا إذا تم التعريف بها ؟

لم تجد الجبهة الشعبية بدا من دفع هذه الوضعية إلى البروز، فعضو مجلس الدولة اعتبر هذه الإجراءات بالتمييزية وقرر إزالة هذه التعقيدات بصورة طفيفة، وبعد فترة وجيزة تشكلت النوادي الرياضية الجزائرية المتجانسة وصار التبان الأخضر والأبيض يظهر في ساحات الألعاب، وأضحت هذه الألوان توحي بتحالف المسلمين الجزائريين تزامنا مع نشاطات حزب الشعب الجزائري الذي كان يطالب بالاستقلال ويشهد تقدما صاعقا ما بين عامي 1937و1939 وفي هذا الوقت صارت الفرق الأوروبية تقابل بفرق من الأهالي متجانسة العناصر في الملاعب، ولم تعد المباريات الرياضة عبارة عن مشكلة، وراح قادة حزب الشعب الجزائري (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) يستثمرون في إطار الهيئات الرياضية وكان حضورهم يعني كل

الفائدة التي تحملها التنظيمات الرياضية كوسيلة للتعبئة السياسية ولا يتعلق الأمر هنا بعمل بسيط، فالاحتراف أضحى ممكنا[4].

إن تعزيز حزب الشعب الجزائري كان أيضا يتم عن طريق انخراط أحسن العناصر الرياضية والتمويه أمام إرادة السلطات الاستعمارية في تسليط القمع على كل من يحاول إظهار وطنيته ،ذلك أن الوطنيين الجزائريين قد وضعوا أنفسهم بصورة أساسية في صراع مرير ضمن حركة واسعة شهدتها الشبيبة الجزائرية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية التي اهتمت بالممارسة الرياضية واعتبرتها كنمط حقيقي للتعبير عن الهوية ...ومع سنوات الخمسينيات شهدت النوادي الجزائرية (الإسلامية) توسعا غير عادي بأنصارهم ودوائرهم ومقاهيهم، وأصبح الملعب المكان المفضل لإظهار القوة والتعبير عن الهوية مقارنة بالأقدام السوداء وفي جو المقاهي المزينة بالكؤوس واللافتات وصور اللاعبين كانت المواعيد للمناقشة الحماسية مثلما تجري في العائلة الرياضية والسياسية، فتجتاز هذه العدوى المتوسط وتستقر وسط الجالية الجزائرية بفرنسا[5] ويمكن أن نذكر النوادي الكبرى بالجزائر التي كونت اللاعبين المهاجرين إلى فرنسا في كرة القدم والذين راحوا يطوّرون لعبتهم المفضلة هناك ضمن النوادي الفرنسية :

حيث كان يلعب لها بورتالي حسان وسط ميدان منذ عام MOC1946 مولودية أولمبيك قسنطينة مع الحبيب دراوة الذي لعب من 1928 إلى 1937 قبل أن يصبح محترفا USMO:

- الاتحاد الرياضي الإسلامي الوهراني .Athletic-club بنادي لوهافر (أطلنتيك كلوب)

- الاتحاد الرياضي الإسلامي العنابي؛ حيث كان يلعب له دودو علي كحارس مرمى بدءا من عام 1944.

(العلمية) مع رواي عمار في مركز الجناح الأيمن بدءا من عام Saint Arnnaud-الفريق الإسلامي لسانت أرنود 1950.

-الشباب الرياضي الإسلامي السكيكيدي؛ حيث كان يلعب في سنوات 1950 بوشاش الشريف المحترف في أولمبيك ليون بفرنسا رفقة أحمد وجاني في مركز وسط متقدم .

الاتحاد الرياضي الفرنكو إسلامي السطايفي مع رشيد مخلوفي في مركز وسط متقدم انطلاقا من عام 1949 والذي سيصبح محترفا في أ س سانت إتيان في عام 1954 رفقة عبد الحميد كرمالي الذي كان هو الآخر يلعب بالفريق الجزائري في مركز الجناح الأيمن.

-الاتحاد الرياضي الإسلامي البليدي؛ حيث كان يلعب مازوز عبد القادر وسط متقدم منذ عام 1944

- مولودية نادي السعيدة مع كرومي عبد الكريم الذي لعب فيها مابين عامي 1951و1956 ثم احترف بنادي سات .Sète

مع حداد السعيد كلاعب وسط دفاعي خلال سنوات 40 رفقة وليكان أمقران MCA مولدية نادي العاصمة الذي سيحترف بفرنسا في أولمبيك نيم عام 1958.

مع شابري حسان الذي أنضم إلى هذا النادي عام USMA1947-الاتحاد الرياضي الإسلامي للجزائر بفرنسا، ثم بفريق أ س موناكو رفقة إبريير عبد الرحمانToulonوسط الميدان قبل أن يصبح محترفا بفريق تولون الذي كان هو الآخر حارسا منذ عام 1938.

-هلال النادي العاصمي: حيث كان يلعب له بوبكر عبد الرحمان كحارس مرمى بدءا من عام 1945.

-الأولمبيك الإسلامي لسانتوجان الذي كان يلعب لـه مصـطفى زيتـوني (وسط دفاعي) وزوبا عبد الحميد (مدافع أيمن) ودنون دحمان (لاعب حر).

-النجم الرياضي لزرالدة مع بن فضة علي في مركز وسط متقدم انطلاقـا من عام 1952 .

-الاتحاد الرياضي الفرنكو-عربي التلمساني؛ حيث كلن يلعب له سوكان محمد قبل أن ينتقل إلى الاحتراف بفرنسا وينضم إلى نادي لوهافر[6].

وفي سياق متصل كان الجزائريون بمشاركة المغاربة والتونسيين قد أسسوا ناديا رياضيا سموه النادي الرياضي للشمال الإفريقي بباريس عام 1949 ثم مولوديـة نادي باريس التي شكلت فوجا من الشبا ب الشمال الإفريقيين وتعهدت بتطوير ممارسة مختلف الرياضات في مخـيم الشـمال الافريقـي بالناحيـة الباريسـية والـتي سبقت وأن أسست فريقين لكرة القدم واللذين كانت خرجاتهمـا الأولى مكلّلـة بالنجاحات لا سيما عندما شارك الشباب الرياضي لهـذا النـادي في تظـاهرة 27 أكتوبر1952 والتي عرفت مشاركات فنية وثقافية وسياسية ألهبت حماس الحضـور في الانخراط في المعركة لمقاومة الاستعمار الفرنسي[7].

انتصار الثورة التحريرية مرهون بمشاركة جميع الجزائريين

عشية انطلاق ثورة أول نوفمبر 1954 كان قـادة الثـورة قـد حـرّروا بيانـا ضمنوه أهداف الثورة التحريرية الكبرى لمواجهة الاستعمار الفرنسي وبينـوا فيه كيفيات تنظيمها وسيرانها حتى تعم الشعب الجزائري برمته وتشمل جميع فئاته ؛لأن مقاومة الاستعمار في ذلك الوقت كانت تعد عظيمة، ومما جـاء في البيان " أيها الجزائريون إننا نـدعوكم لتأمـل ميثاقنـا، إن جبهـة التحريـر هـي جبهتكم وانتصارها هو انتصاركم، وأن واجبكم أن تنضموا إليها ..."[8].

كما ورد في البيان أيضا :"إن هذه مهمة شاقة وثقيلة وتتطلب تجنيد كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق".

وهكذا فإن جبهة التحرير الوطني لم تستثن أحدا من الفئات الحية في المجتمع، فبعد مضي عامين على انطلاق الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954 ثم انعقاد مؤتمر الصومام (20اوت 1956) والذي على إثره تم إعادة هيكلة جهاز جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني على أسس تنظيمية وأيدلوجية محكمة. اتخذ قادة الثورة قرارا بمقاطعة جميع النشاطات الرياضية بالجزائر في ظل الحرب التي تشنها فرنسا على الشعب الجزائري؛ حيث ألغي اللقاء النهائي لكأس والذي كان من المفروض أن يجمع الاتحاد الرياضي البلعباسي بمنافسه سبورتينغ كلوب AFNالشمال الافريقي

البلعباسي[9] بقرار حكومي تفاديا للمجابهة بين الجزائريين والمعمرين، وأشارت جريدة "وهران الجمهورية" في28سبتمبر1956إلى غياب النوادي الإسلامية، مما أنعكس سلبا على مستوى اللقاءات، ومع بداية أكتوبر من نفس السنة غابت الأندية الجزائرية جميعها عن المنافسات الرياضية في ظل الاستعمار الفرنسي، وبانسحاب النوادي الإسلامية أقرت جريدة "صدى وهران" بأن البطولة صارت ضعيفة وفقدت حلاوتها وحرارتها[10]

فريق جيش التحرير الوطني يمهد الطريق:

بمناسبة الألعاب العربية التي كانت ستجري بلبنان عام 1957 وبمبادرة من مسؤول جزائري ملحق دبلوماسي لدى سوريا ولبنان عندما طلب من الحبيب دراوة- المدرب الجزائري للفريق التونسي- تشكيل فريق جزائري يشارك في الاستعراض الرياضي وراء العلم الوطني في هذه الألعاب[11]، تم تأسيس فريق جيش التحرير الوطني في13 ماي 1957 من لاعبين جزائريين

ينشطون في البطولة التونسية [12]، ويقول سعدي عبد القادر- أحد لاعبي هذا الفريق- أن تشكيل هذا المنتخب دام 12 شهرا بمساندة محمد بدير مسؤول الفدرالية التونسية ؛ حيث قام بعدّة جولات مغاريبية وعربية معرّفا الشعوب المستضيفة بمسيرة الكفاح المسلح الذي كان يخوضه الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، واستطاع أن يكسب عطف الشعوب العربية ،فجمع خلال سنة من النشاطات حوالي 12 مليارا من الستيمات لفائدة خزينة الثورة [13]، وكان انتصار هذا المنتخب في إحدى مبارياته الهامة حافزا لقادة الثورة بالمضي قدما في تأسيس فريق محترف من اللاعبين الجزائريين المهاجرين بفرنسا يكون سفيرا للقضية الوطنية في المحافل الدولية[14].

وإذا كان الذي سبق ذكره حافزا لدى مسؤولي الجبهة بتونس في تأسيس فريق محترف، فإن مشاركة الرياضيين والطلبة الجزائريين النشطين بفرنسا في مهرجان الشباب العالمي بموسكو عام 1957 قد غرست فيهم الاقتناع بأهمية هذه المبادرة، ذلك أن محمد بومزراق أحد مسؤولي الفدرالية بفرنسا كان يدرك الصدى الذي يمكن أن تمثله الرياضة في الدعاية لصالح الثورة [15]، وهكذا في صيف1957 بباريس كانت فكرة تأسيس فريق جزائري في كرة القدم من اللاعبين الجزائريين المهاجرين بفرنسا قد تبلورت بالمقر السري للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين[16]؛ لأن الحكومة الفرنسية وقتئذ كانت تبذل جميع جهودها من أجل إخماد الحركة التحريرية وتحاول ما استطاعت أن تصرف الأنظار عن حقيقة "أحداث الجزائر"[17]

أما فدرالية فرنسا فكانت من جهتها تبذل جهودا مضنية من أجل توضيح نشاطات جبهة التحرير الوطني في فرنسا وفي أماكن أخرى، ففكر قادة الثورة في القيام بعملية مثيرة تهدف إلى استجلاب أنظار العالم نحو الأوضاع المأساوية المفروضة على الجزائريين نتيجة لاستمرار الحرب الاستعمارية، وتتمثل هذه العملية في أن الجزائريين بفرنسا كان منهم من يمارس رياضة كرة

القدم بالأندية الفرنسية على مستوى عال من المهارة، مما أكسبهم شعبية واسعة هناك، ومن شأن انسحابهم- فجأة وبكيفية منسقة جماعية- أن يكون محل تساؤل مثير، ليس فقط لدى العالم الرياضي، لكن أيضا لدى الأوساط الفرنسية المتوسطة الشغوفة بالكرة المستديرة[18].

موقف اللاعبين الجزائريين المهاجرين بفرنسا من نداء جبهة التحرير الوطني :

لذلك وجهت جبهة التحرير الوطني نداء إلى اللاعبين المغتربين بفرنسا قصد التحاقهم بالكفاح بعدما طمأن مسؤولو الفدرالية جميع اللاعبين بتقديم لهم الضمانات المتعلقة بالتكفل بعائلاتهم وبالممتلكات التي يخلفونها وراءهم بفرنسا[19] فقد تم تكليف بومزراق -في سرية تامة- بالتنقيب عن اللاعبين الجزائريين المحترفين في النوادي الفرنسية والسعي إلى توعيتهم بالقضية الوطنية العادلة، وبفضل بومزراق ولعريبي والدكتور مولاي بلغت الاتصالات نهايتها بمساعدة بعض مسؤولي جبهة التحرير الوطني بفرنسا[20] وفي لقاء أخير جرى بباريس في فندق الإخوة بودينار مع قدور عدلاني والسعيد بوعزيز بحضور لعريبي وبومزراق وبوبكر المتحدثين باسم اللاعبين اتفق الحاضرون على ضبط تاريخ خروج اللاعبين من فرنسا[21]، ونشرت مصالح الصحافة والإعلام التابعة لها بيانا تعلن فيه بكل اعتزاز أن اللاعبين الجزائريين قد غادروا فرنسا استجابة لنداء الجزائر المكافحة، لقد عبر اللاعبون- يقول البيان- أنه في الوقت الذي تشن فيه فرنسا على شعبهم حربا بلا هوادة في الوقت الذي امتنعوا عن مشاركة النوادي الفرنسية في استكمال مشوارهم الرياضي الذي يعد ذا قيمة مالية كبيرة"، كما صرح البيان مرة أخرى أن جبهة التحرير الوطني عازمة على تأسيس فدرالية وطنية جزائرية لكرة القدم وستطالب بانخراطها في الاتحادية الدولية لكرة القدم قصد المشاركة في المنافسات الدولية وفي كأس العالم القادمة، وهي الإرادة

نفسها التي عبر عنها اللاعب براهيمي بلوزان والمتمثلة في السعي إلى إنشاء فريق جزائري[22].

ردود الفعل الفرنسية الإعلامية والرياضية والسياسية:

يقول علي هارون أحد قادة فدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني أن عام 1958كان يمثل منعرجا حاسما في كفاح التحرير الوطني بفرنسا[23]، لذلك أقحمت الهياكل التنظيمية للفدرالية النشاطات الرياضية والسياسية في العملية الدعائية الواسعة قصد النيل من الفرنسيين بواسطة أغلى هواية يعشقونها إنها رياضة كرة القدم التي تلامس رجل الشارع[24]، فاللاعبون الجزائريون كانوا كلهم ينشطون في الدرجة الأولى ومعروفين بفرنسا، وبقوة الأشياء فإن هذا الرحيل من شأنه أن يجعل الفرنسيين مصوبين أنظارهم إلى الثورة الجزائرية[25]، وحقيقة فإن قضية ترك اللاعبين الجزائريين للنوادي الفرنسية قد شغلت الرأي العام الفرنسي واستقطبت جميع الأوساط للدلو بدلوها حول أسبابها ومسبباتها، ففي 17 أفريل أوردت جريدة لكسبريس تقول:" ثلاثة ملايين من الفرنسيين اكتشفوا هذا الأسبوع وجود حرب بالجزائر، وبتصفحهم الجريدة يوم الثلاثاء فقد علموا أن إحدى عشر لاعبا من أحسن اللاعبين في كرة القدم المحترفة وكلهم ينتمون إلى الشمال الأفريقي قد غادروا فرقهم"[26]، وبعد مضي أربعة أيام من اختفاء اللاعبين الجزائريين الأوائل انتاب الجريدة الرياضية المختصة "لكيب" قلق ودهشة ومما حملته في هذا السياق: " لا أحد كان يتصور الانسحاب المفاجئ للاعبين الجزائريين من نواديهم عشية مناقشات البرلمان والاستعداد لإجراء مبارة دولية في كرة القدم مع المنتخب السويسري في إطار إقصائيات كأس العالم المنتظر إجراء نهائياتها بالسويد عام 1958[27] لقد ألقت هذه الحادثة بظلالها ليس على الوسط الرياضي فحسب، بل على الوسط السياسي، والخشية كل الخشية أن تنتقل هذه العدوى إلى لاعبين آخرين"[28]

وكتبت صحيفة ليمانيتي (لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي) من جهتها:"هي حرب الجزائر تشبه السرطان الذي يهاجم ميدانا كانوا يعتبرونه خارج السياسة"[29].

فالأوساط الرياضية قد تحسرت على فقدان لاعبين مهارين قيمتهم المالية مرتفعة إلى أبعد الحدود، ومن الصعوبة إيجاد بدلاء لهم، ففي موناكو صرح مسؤولو النادي بأنهم تلقوا ضربة قاسية لخزينة فريقهم " إن مغادرة اللاعبين الجزائريين مسؤول أ س موناكو إلى ممثل وكالة الأنباء الفرنسيةCaupora لفرقنا أوقعتنا في وضعية حرجة" حسب تصريح السيد

ومما جاء فيه كذلك" زيادة على خسارتنا للاعبين ممتازين سببت لنا هذه المغادرة مشكلا ماليا، وبالتالي كان هؤلاء اللاعبون يمثلون بالنسبة لفريقنا رأس مال حقيقي من الصعب تعويضه، كما صرح في سياق متصل مسؤولو الفدرالية الفرنسية لكرة القدم أن الوضعية تعد معقدة ولكن يجب أن نضعها بجدية في إطارها الرياضي ماعدا حالة زيتوني [30](AS Monaco)وبن تيفور(AS Saint –Etienne)والذي تم ضمه إلى فريق فرنسا بمعية مخلوفي

ذلك أن الفريق الفرنسي كان في بداية شهر أفريل 1958 بصدد التحضير لمقابلة الفريق السويسري من أجل خوض مباريات إقصائيات كأس العالم [31] التي بإمكانها أن تطرح مشكلة والتي ستكون محل مناقشة من طرف المكتب الفدرالي خلال الاجتماع القادم، ومن جهة أخرى فإن وضعية اللاعبين الجزائريين تعود أحكامها إلى القانون العام لكرة القدم المحترفة، وبذلك فهم يتواجدون أمام حالة فسخ العقد من طرف واحد[32].

لم تجد الفدرالية الفرنسية لكرة القدم حلا لعرقلة مساهمة الرياضيين الجزائريين في معركتهم سوى اللجوء إلى الاتحادية ومطالبتها بإصدار قرار يحضر على المنتخبات العالمية اللعب مع فريق جبهة التحرير الوطني

FIFAالدولية لكرة القدم وقد كان لها ذلك على حد قول بن طوبال[33]؛ لأنه على الصعيد المالي مثلت هذه الهجرة خسارة ب100مليون من الفرنكات[34].

أما الأوساط السياسية: فراحت تتساءل عن الدوافع التي أدت بمثل هؤلاء اللاعبين ومغادرتهم فرنسا رفقة أسرهم .كما استبد القلق بمصالح وزارة الداخلية التي لاحظت أن سلوك اللاعبين الجزائريين كان شرعيا؛ ذلك أنهم غادروا فرنسا دون بلبلة أو صراخ، وهم على ما يبدو لا تطبق عليهم العقوبات القضائية باستثناء اللاعب الدولي رشيد مخلوفي -الجناح الأيمن لسانت اتيان- الذي كان مجندا ومحمد معوش لاعب فريق رامس مساعد بمركز الجيش بجوانفيل، وباعتبارهم فرنسيين من حيث المواطنة فقد غادروا التراب الفرنسي بأوراق هوية قانونية ماعدا معوش الذي ألقي عليه القبض وهو على أهبة الاستعداد لاجتياز الحدود الفرنسية السويسرية معترفا بذلك بسانت لويس، وفورا تم استجوابه من قبل مفتشي الشرطة الذي كان من المتوقع أن يحيلونه على السلطات العسكرية [35].

من جانبه كتب أحد مراسلي الصحافة إلى باريس: إن التزام الرياضيين الجزائريين كان أحد العوامل الذي أثقل الجو السياسي داخل البرلمان الفرنسي، ودفع بعدد من النواب إلى التصويت ضد الحكومة (...) فالصدمة بالنسبة للرأي العام كان تظاهي في وقعها ما تسفر عنه خسارة معركة من نتائج [36].

المعركة السياسية في ثوبها الرياضي تنطلق من تونس :

واستجابة لنداء جبهة التحرير الوطني حلّ اللاعبون الجزائريون المهاجرون في فرنسا بتونس مصحوبين بزوجاتهم الفرنسيات وأطفالهم، ماعدا اللاعب مخلوفي كانت زوجته جزائرية؛ حيث استقبلوا من طرف المسؤولين المحليين لجبهة التحرير الوطني وفي مقدمتهم الرائد قاسي مسؤول قاعدة جبهة التحرير بتونس، واجتمع خمسة لاعبين جزائريين في ندوة صحفية وأبدوا إعجابهم بتونس

وعبروا عن سرورهم بانضمامهم إلى مشاركة إخوانهم في الكفاح التحريري بقيادة جبهة التحرير الوطني[37] "نحن باعتبارنا لاعبين في كرة القدم جئنا لوضع كفاءتنا التقنية وإمكانياتنا الرياضية تحت تصرف بلدنا"[38].

ونظرا للمكانة التي كان يحتلها اللاعبون المغتربون حرص مسؤولو الفدرالية إلى الانتقال إلى تونس قصد الاطلاع على ظروف استقبالهم ومدى إحاطتهم بالرعاية الضرورية من أجل تأدية مهامهم الجديدة على أحسن وجه[39].

تعزيز فريق جبهة التحرير الوطني بعناصر جديدة من فرنسا:

بعث الدكتور الأمين دباغين عضو لجنة التنسيق والتنفيذ، مسؤول دائرة الشؤون الخارجية إلى مسؤولي فدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني في منتصف عام 1958 مراسلة يذكر من خلالها أن الفريق الوطني لكرة القدم لم يكن يضم سوى 11 لاعبا، في حين أنه ينبغي على الأقل تواجد 4إلى 5لاعبين احتياطيين، والحال أنه يستحيل العثور عليهم بتونس من ضمن لاعبي الفريق ب الذين لا يمتلكون -دون شك- القيمة المطلوبة للظهور في الفريق الأول الدولي، وعليه توجهنا إلى فدرالية فرنسا لمطالبتها بإرسال لاعبين ذوي مستويات معترف بها وإرسالهم إلى تونس، وللإعلام -تضيف المراسلة- نفيدكم بنسخة من هذه الرسالة راجيين منكم إعداد التذكير الضروري إلى الأخوة بفدرالية فرنسا وربط الاتصال وإيفاد بأقصى سرعة LCH)لاعبين في كرة القدم تظهر عناوينهم وأسماؤهم: زوبا (نيورث)، وجاني52 فويورج شارتران فوندوم

عبد الله 55ساحة جورج كليمونسو بوردو، حداد مقهى لاميروت تولون (فار)، سوكان 1وسوكان 2 .إن العناصر المطلوبة TV، ماح ران HT-Rhim وإبرير(لوهافر)، بن محمود 13شارع دي فارجي ميلوز

ستساهم في تعزيز صفوف الفريق الوطني وعند اللزوم ستتأسس منهم نواة الفريق الثاني [40].

بعد مضي أربعة أشهر من تأسيس فريق جبهة التحرير الوطني -المثير للجدل حسب وجهة النظر الفرنسية- المشكل من بن تيفور وعشرة من رفقائه انضم إليه- عملا بتعليمات جبهة التحرير الوطني- أربعة لاعبين جدد، ففي تاريخ 29 جويلية أصيبت كرة القدم الفرنسية من جديد بضربة موجعة عن طريق نادي لوهافر(لوهافر أتلتيك كلوب) الذي اختفت منه خمسة عناصر جزائرية ولم يظهر لهم أي أثر منذ بضعة أيام، وكان يسود الاعتقاد لدى الوسط الرياضي ولأسباب منطقية أنهم توجهوا إلى سويسرا بغرض الالتحاق بتونس[41] .

والحقيقة أن إحدى عشر لاعبا الذين تركوا الفرق الفرنسية في 13 أفريل قصد تأسيس فريق جبهة التحرير الوطني تعتبر عناصر لامعة في فرنسا، ومن هؤلاء نجد بن تيفور الذي شارك في كأس العالم السابقة بسويسرا عام 1954مع منتخب فرنسا[42] وزيتوني- المشهور كرويا بفرنسا- الذي كان يتقاضى 160ألف فرنك الذي لم يتردد في ترك كل شيء وراءه ومما صرح به :"لا أستطيع رفض نداء الثورة حتى ولو ضيعت كل شيء"[43] وبوشوك ومخلوفي وابراهيمي ،ذلك أن هذا الرحيل قد أفلس أ. س موناكو لكن الأمر كان يتعلق -في هذه المرة- بالأخوين محمد وعبد الله سوكان وإسماعيل إبرير والشريف بوشاش والأربعة كلهم سافروا إلى باريس لمباشرة طريقهم إلى جنيف، وهم جميعهم من فريق لوهافر[44] .

النشاط الرياضي قوامه التخطيط من أجل بلوغ الأهداف المسطرة :

- لا شك أن اللاعبين الجزائريين المغتربين بفرنسا كانوا يدركون أنهم بتركهم للفرق الفرنسية والتحاقهم بتونس لتشكيل فريق جبهة التحرير

الوطني، إنما يمثل ذلك كله التزاما بالمساهمة السياسية في انتصار الجزائر المكافحة، وإن كان البعض منهم يبدون عدم الرضاعن الوضعية المادية التي باتوا يعيشونها مع أسرهم، ذلك أن الأجرة الشهرية التي كانوا يتقاضونها في المتوسط تتراوح ما بين 20ألف إلى 300ألف من الفرنكات، لكن إرادتهم في القيام بواجبهم كوطنيين جزائريين دفعهم إلى قبول التضحية الجسيمة من أجل نصرة القضية الجزائرية ورفع الألوان الوطنية عاليا، والحال أن الأجرة الشهرية المخصصة لهم لا تتعدى 50ألف فرنك للعزاب، فهم لا يطالبون بنفس الأجرة التي كانوا يتحصلون عليها بفرنسا ولم تكن هذه مشكلة بالنسبة إليهم، ولكنهم يريدون ببساطة تعديلا جديدا في هذه الأجرة اعتمادا على أوضاعهم المهنية والمعيشية، لذلك كان يتعين على مسؤولي الجبهة التكفل بهؤلاء اللاعبين ماديا واجتماعيا وإقحامهم في النشاط السياسي لها وبث فيهم الحماس الفياض حتى يعرفوا ما يقدمونه فوق الميادين بالبلدان الأجنبية[45] وحتى تكون الفائدة شاملة هناك مراقب للتسيير الإداري والمالي -باعتباره محافظا سياسيا- يسهر على شفافية مداخيل اللقاءات الدولية ويستفيد من مشورة المسؤولين المحليين لجبهة التحرير الوطني، وعقب كل جولة رياضية يتم إعداد تقرير بالنشاطات من طرف المديرية التنفيذية للفريق الوطني بالوزارة التي تتبعها، وما يتضمنها من تسهيل إقامة العلاقات مع الخارج وتزويد القادة الرياضيين التابعين للبلد المضيف والمنظمات المماثلة والصحافيين بجميع المعلومات المفيدة، علاوة على المعلومات المتحصل عليها الناتجة عن ربط الاتصالات المعتادة مع الممثلين الأجانب[46] .

وفي سياق متصل ورد في تعليمة حول وضعية الفريق الوطني أن السيد بومزراق مدرب الفريق أفصح على وجود روح معنوية مقلقة تسود عناصر الفريق حتى أن البعض منهم همّ بمغادرة الفريق والجبهة، ومما جاء في قوله:" إن الفريق استسلم للجمود الذي جثم على نفوس الجميع وألحق ضررا بالغا

بلياقاتهم البدنية، ذلك أن إقصاء الفريق المغربي من المنافسات الدولية الـذي تجرأ على اللعب أمام فريقنا يعد مثالا على العقوبة التي ستضرب كـل فريـق يتجرأ على اللعب أمامنا، وحتى وإن كان من المنتخبات الهاوية، دون إغفـال أن المباراة مع الفريـق المغربـي جلبـت مـدخولا ماليـا قـدرة 12 مليونـا مـن الفرنكات لصالح صندوق الثورة[47]، وحتى لا ننكـر أن الجانـب المـادي لـه أهمية قصوى في خرجات الفريق الجزائري فإن المهام السياسية والدبلوماسية والدعائية ذات أهمية قصوى في نشاطاته الرياضية ،فالشـغف الشـعبي بكـرة القدم بلغ نسبا مدهشة في العديد من البلدان الأوربية وأمريكا الجنوبية وحتى بإفريقيا، ففي أمريكا الجنوبية صارت القضايا الرياضية مسـيطرة علـى حيـاة الناس بهذه البلدان ...وباختصار فإن تنظـيم لقـاءات الفريـق الـوطني لكـرة القدم مع الفرق الأجنبية يعد وسيلة فعالـة للدعايـة الـتي مـن شـأنها جعـل المشكل الجزائري تتبناه -بصورة أفضل- شعوب العديد من الدول وشعوب أمريكا الجنوبية بصورة خاصة، وخارج هذا الإطـار فـإن الصـحافة المحليـة لم تحجز للقضية الجزائرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي سوى مكانا متواضعا إن لم نقل عديم المعنى"[48].

وعليه وجهت جبهة التحرير الوطني مراسلة إلى الدائرة الخارجيـة التابعـة لها ورد فيها أن فريق كرة القدم -كما يعلم الجميـع- رأس مـال غـير ممكـن تقييمه من ناحية الدعاية، وعليه يجب أن نسـتغل سمعـة عناصـره وفي نفـس الوقت يعفينا من تكاليف المحادثات التي نتحملها، وبالتالي يجب أن نشركه في إجراء المقابلات الدولية، لهذا نطلب من الدائرة الخارجية سواء على مستوى السفارات بالقاهرة أو مباشرة مع البلدان التي تتواجد بها ممثلياتنـا الاتصـال بفدراليات بعض البلدان قصد تنظيم جولة أو عدة جولات إذا أمكن، وعلى المستوى المادي، وبمأمن الأمر يتعلق بفريق الشعب الجزائـري الـذي يخـوض الكفاح التحريري نطالب بتحصيل جميع المداخيل في صندوق الثورة، لكن لا

نقبل اللعب إلاّ مع البلدان التي تضمن لمنتخبنا تكاليف الإقامة والنقل من أجل الدعاية[49]

الدور الدبلوماسي والإعلامي والمادي الذي لعبه فريق جبهة التحرير الوطني لصالح الثورة:

لقد شكل خروج اللاعبين الجزائريين المهاجرين من الأندية الفرنسية معطى جديدا آثار اهتمام أولئك الذين كانوا يدرجون الحرب التحريرية في آخر مراتب اهتماماتهم، فما الذي أدى برياضيين في النخبة يتمتع كل منهم برغد العيش في دار مريحة وسيارة إلى التخلي عن كل شيء والالتحاق بجبهة التحرير الوطني التي كانت تنعت بعصابة من الخارجين عن القانون ؟ وهكذا لم تعد الصور المشينة التي كانت تروّج للثورة الجزائرية تجد قبولا سهلا لدى الرأي العام الفرنسي، وفي الأشهر الموالية صار تجنيد المتعاطفين الفرنسيين مع القضية الوطنية ضمن شبكات الدعم أمرا ميسورا[50].

بتونس؛ حيث أجرى لقاء كرويا مع Belvédereاستهل فريق جبهة التحرير الوطني نشاطه من الملعب البلدي مع هذا البلد الشقيق بتعداد ناقص من تنظيم اللجنة الجزائرية التونسية للتظاهرات الرياضية، وفاز الفريق الجزائري في أول مباراة يجريها على مستضيفه بنتيجة 5مقابل 1 وعادت مداخيلها إلى اللاجئين الجزائريين[51] قبل قيامه بجولة مغاربية قادته إلى المغرب الذي يعد أول فريق يستقبل فريق جبهة التحرير الوطني رغم تهديدات الفيفا، فتجرأ على اللعب أمام الفريق الجزائري ليتعرض إلى عقوبة سنة من الإقصاء من المشاركة في المنافسات الدولية، فالسلطات المغريبية أعطت موافقتها على اللعب أمام الفريق الجزائري لأسباب سياسية مرتبطة بعملية القرصنة الطائرة التي كانت تقل القادة التاريخيين وهي في طريقها إلى تونس عام 1956[52].

لقد قام فريق جبهة التحرير الوطني لكرة القدم بجولات رياضية ما بين عامي 1958 و1962 قادته إلى بكين، ففي الصين استقبل فريق بومزراق استقبال الأبطال؛ حيث قدم للجمهور الصيني عروضا شيقة في كرة القدم بحضور الرئيس "ماو تسي تونغ" ،وقبل ذلك كان الفريق الجزائري قد استقبل من طرف الوزير الأول الصيني "شون أولاي" الذي كان هو الآخر منشغلا بظروف الحرب في الجزائر ومعجبا-شأنه شان الجنرال "جياب" بالفيتنام- بالنشاطات الرياضية والدبلوماسية للمنتخب الجزائري، ومما قاله لعناصر الفريق الجزائري: "إننا نستقبل سفراء جديرين بتمثيل الثورة الجزائرية المجيدة"[53]، مرورا بعمان، ففي الأردن استقبل فريق جبهة التحرير الوطني عام 1959 من قبل الملك "حسين" ليخلّد الحدث بمسيرات القصر[54]، وهانوي ففي الفيتنام- البلد الذي هزم القوات الفرنسية بديان بيان فو- بقيادة الزعيم "جياب فونقوين" استقبل هذا الأخير رفقاء زيتوني بمدخل مقر قيادة الأركان العسكرية ليرافقهم إلى القاعة الشرفية ويخصص أكثر من ثلاث ساعات من وقته لأعضاء الفريق الوطني تحدث خلالها معهم حول بداية مشوارهم الرياضي وكيفية التحاقهم بجبهة التحرير الوطني، مبديا إعجابه بنضال وكفاح الشعب الجزائري، ومما قاله "هو شين مين" أحد أعوانه في دردشته :"لقد هزمنا فرنسا وهزمتمونا، إذن فلتهزموا فرنسا"[55] وبيوغسلافيا من خلال الجولة الاستثنائية التي قام بها المنتخب الجزائري فإن اللقاء الذي كان أكثر أهمية بالنسبة إليه هو ذلك الذي جرى بالعاصمة بلغراد أمام جمهور يقدر بـ40ألف متفرج وعقب انتهاء المباراة انتقل الكثير من سفراء البلدان العربية والإفريقية لتحية عناصر الفريق الجزائري، وبالمنصة الشرفية لم يخف المسؤولون اليوغسلاف ابتهاجهم؛ حيث تفاجأوا بالنسوج الكروية التي قدمها أعضاء فريق جبهة التحرير الوطني وانضباطهم التكتيكي، فهم لم يكونوا ينتظروا مشاهدة منتوج كروي بهذا المستوى العالي، كما تحدثوا مع عناصر الفريق

وحفزوهم على مواصلة الكفاح التحرري والثبات على المواقف، كما تأثر الفريق الجزائري بهذه الحفاوة وتمنى مسؤولوه أن تتحرر الجزائر من الاستعمار الفرنسي وتقيم علاقة وطيدة من الصداقة والمحبة مع اليوغسلاف، وعبر أعضاء الفريق الجزائري عن بالغ تأثرهم لحفاوة الاستقبال التي تلقوها من الجمهور اليوغسلافي والدفع بمسؤوليه إلى الاعتراف بالثورة الجزائرية فلم يترددوا منذ البداية عن فعل ذلك[56]

وكان يحدث أحيانا أن يرافق قادة الثورة المنتخب الجزائري إلى المطار؛ كما فعل كريم بالقاسم وأحمد بومنجل قبل مقابلة المغرب[57] من جهته لعب المرافق الملحق بالفريق محمد علام -باعتباره محافظا سياسيا مكلف بالدعاية لصالح القضية الجزائرية- دورا كبيرا في جلب تعاطف الجماهير الرياضية عبر كافة البلدان التي زراها فريق جبهة التحرير الوطني، فكان يأخذ الكلمة قبل كل لقاء كروي مخاطبا الجمهور المستضيف :"إن الفريق الذي يلعب أمامكم كرة القدم يريد إسماع صوت الجزائر المكافحة ،إن هؤلاء اللاعبين يمثلون بلعبهم الكرة قضية عادلة"[58].

والحقيقة أن فريق جبهة التحرير الوطني منذ تأسيسه في ربيع1958 استطاع أن يعبد طريقه إلى العالمية، فذكرته الصحافة الدولية بإسهاب وأطنبت في إعجاب الجماهير العالمية بروائعه الكروية وسلوكه التربوي المنضبط، وكان الجمهور الذي يلعب أمامه يمدّه بالمتعة ويبهره بالعروض والنسوج الكروية الممتازة، مما مكّنه من نيل إعجابه وتعاطفه مع القضية الوطنية، فاستقبل من طرف المسؤولين السامين في كل بلد يستضيفه في كل من البلدان العربية، فمن الرباط والدار البيضاء إلى طرابلس وتونس والقاهرة، فدمشق وبغداد وعمان والرياض المناصرة للثورة التحريرية شأنها شأن الدول الاشتراكية الأوروبية مثل بلغاريا والمجر ورومانيا ويوغسلافيا وبولونيا والاتحاد السوفياتي إلى آخره... التي راحت تعترف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الواحدة تلو الأخرى، ولم

يتردد حتى رئيس بلدية روستوف بالاتحاد السوفياتي سابقا في تخصيص استقبال شرفي للفريق الجزائري[59].

لم يلعب فريق جبهة التحرير الوطني دورا دبلوماسيا لصالح القضية الجزائرية فحسب، بل كانت مساهمته المالية لفائدة خزينة الثورة عظيمة جدا، حيث قام بنشاط مكثف فلعب62 مقابلة دولية فاز ب47 مقابلة وتعادل في 11 وخسر 4 مقابلات[60] ليحصل في الأخير على مدخول مالي قدره 120مليار فرنك[61] كان دعما معتبرا للثورة التحريرية في مسيرتها نحو الانتصار.

وخلاصة القول أن الرياضة كانت في خدمة الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر بامتياز بداية مع تأسيس عام MCA1921النوادي الجزائرية منذ عشرينيات القرن الماضي مع مولودية نادي الجزائر

وصولا إلى بعث فريق جيش التحرير الوطني عام 1957 الذي اعتبرت عناصره مجاهدين بحق شأنهم شأن الثوار في ميادين المعارك، وأخيرا فريق جبهة التحرير الوطني انطلاقا من عام 1958الذي أبلى بلاء حسنا وبرهن على أن الهجرة الرياضية الجزائرية نحو فرنسا رقم هام في ترجيح كفة الارادة الجزائرية الصلبة على حساب الرغبة الجامحة الفرنسية، فكانوا خير نصيرا للقضية الوطنية في الملاعب الدولية.

الهوامش:

(1) CNER sur le mouvement national et la révolution du 1er Novembre54 : Jeunesse et Sport et revendications nationales, Algérie 1940-1962, Edition spéciale du ministère des Moudjahidines p50

(2) Ibid p57

(3) Benjamin Stora ; Ils venaient d'Algérie, L'Immigration algérienne en France (1912-19629), Fayard 1992 p373

(4) Ibid p374

(5) Ibid p375

(6) Ibid p376

(7) L'Emigré. organe de combat des Algériens de France pour la libération de l'Afrique du Nord N /4

(8) وزارة الإعلام والثقافة: النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني "بيان أول نوفمبر" (1954-1962) الجزائر 1979 SCBA ويتشكل من الجزائريين فقط والثاني: سبورتينغ كلوب البلعباسيUSMBA.

(9) الأول: الاتحاد الرياضي الإسلامي البلعباسي ويتشكل من أبناء المعمرين أنظر في ذلك: CNER, op. cit, p363

(10)Mahfoud Kaddache : Récit de feu Alger SNED /SN Elmoudjahid 1977

(11)Ahmed Arroul : Le football , Une expression de lutte CNIDS, Magazine special N1,Novembre1994

(12)Hamid Grine : Almanach du Sport algérien, Alger, ANEP 1990 p24

(13)Ahmed Arroul, op. cit, p97

(14)Hamid Grine op cit p24

(15)Rabah Saadalah, Djamal Benfares : La glorieuse équipe du FLN .Alger ENAL/GAM 1985

(16)Stora, op. cit p377

(17) عمر بـوداود : مـن حـزب الشـعب الجزائـري إلى جبهـة التحريـر الوطني، مذكرات مناضل ترجمة أحمد بـن محمـد بخيلـي الجزائـر، دار القصـبة للنشر 2007 ص127

(18) نفس المصدر والصفحة

(19) نفس المصدر ص128

(20)CNER Sur le mouvement national et la revolution du 1er Novembre54, op. cit p429

(21) عمر بوداود: المصدر السابق ص127

(22)Libération, N/4233 du 16 /04/1958

(23)CNER sur le MN et la R du 1er Novembre,op cit p420

(24)Hamid Zouba : Témoignage, INFS /STS Alger, Mai 2004

(25) CNER sur le MN et la R du 1er Novembre54 ,op.cit p433

(26) Benjamin Stora, op. cit, pp372-373

(27) CNER.op cit p433

(28) Benjamin Stora, op.cit, p373

(29) الدكتور عبـدالله شـريات: الثـورة الجزائريـة في الصـحافة الدوليـة ،الجزء الأول ،الجزائر، وزارة المجاهدين عام 2003 ص205

(30)Libération, N/4233

(31)Benjamin Stora, op cit p373

(32)Libération N /4233

(33)عضو لجنة التنسيق والتنفيذ مكلف بالداخلية أنظر في ذلك: Mohamed Harbi : Le FLN Mirage et Realité, Alger, ENAL 1993 p403

(34)Chikhi Djaml : « Les Onze de l'independance » Film ENTV/VMGroup Juillet 2002

(35)Libération N/4233

(36) الدكتور عبد الله شريات: المرجع السابق ص 204

(37)Libération N/4233

(38)CNER, op.cit, p430

(39) عمر بوداود : المصدر السابق ص128

(40)ACN, Fond de GPRA BT25

(41)Libération N/4322 du 30/07/1958

(42)Chikh Djamal, op.cit (film)

(43)CNER, op.cit, p430

(44)Libération N/4322

(45)ACN, Fond de GPRA BT24

(46)Ibidem

(47)A.C.N.Fond du GPRA BT 25

(48)Ibidem

(49))A.C.N , Fond de F.F du FLN BT 26

(50) عمر بوداود : المصدر السابق ص128

(51) H.Seddiki : Rachid Mekhloufi , L'imagination au bout du pied.Alger, SNED1982 p156

(52) Djamal Saifi : Le Football algérien au cœur du mondial. Alger, ENAL/Gama Sport 1983p10

(53) CNER, op.cit p 435

(54) Chikh Djamal op cit

(55) CNER op cit p 436

(56) A.C.N, Fond GPRA.BT 25

(57) CNER, op.cit p435

(58) Ibid p436

(59) Djamal Saifi, op.cit pp10-12

(60) Ibid pp8-9

(61) هناك بعض المصادر تقدم حصيلة المقابلات الكروية التي أجراها فريق جبهة التحرير الوطني مع مختلف المنتخبات الدولية ما بين عامي 1958و1962 على النحو الآتي: خوض 91 مباراة تم تحقيق 65 انتصارا، 13 تعادلا، 13 هزيمة أنظر في ذلك:

CNER sur le MN et la R du 1er Novembre 54 p436

El Oueled Houma, Bulletin mensuel N/6, 1999

دور الجزائر
في حل النّزاعات والأزمات في إفريقيا جنوب الصّحراء

د/ خالد صابر شريف

أستاذ محاضر/ جامعة الجزائر2

مفهوم النزاعات والأزمات:

يعدّ مفهومي النّزاعات والأزمات من المفاهيم الحديثة السّاعية كنمذجة وتفسير ما يشهده عالمنا الحالي من صراعات مختلفة الأشكال وخلافات متعدّدة الأسباب، وقد انبثق هذين المفهومين وتشكلا، عبر النّظريات التي خصّتهما بالشّرح المستفيض والتحليل العميق، ويمكن أن نقسّم أهمّ هذه النّظريات إلى ثلاث مجموعات كبرى، هي بإيجاز:

1. تتناول النّظريات المندرجة ضمن المجموعة الأولى، النّزاع والأزمة وتفسرهما، على أساس وجود صراع قائم بين طرفين متنازعين، يسعى كل واحد من الطّرفين إلى فرض الحلول التي تحقّق أهدافه، وتحافظ على مصالحه.

2. تذهب المجموعة الثّانية من النّظريات إلى اعتبار كل الأطراف المتنازعة أطرافا فاعلة ستكون قادرة على مواصلة النّزاع والاستمرار فيه، ما دامت نسبة المكاسب والخسائر لم تصل حدّها الأقصى الذي يضمحلّ عنده أحد الأطراف المتنازعة وتخور قواه.

3. تنطلق النّظريات المنتمية إلى المجموعة الثّالثة في تفسيرها للنّزاعات والأزمات، من التغيّرات والتّحولات التي تطرأ على مستوى العلاقات الدّولية التي تؤدي بدورها إلى تغيير في موازين القوّة.

ويمكن أن نضيف إلى مجموع النّظريات السابقة، التّعريف الذي يقترحه الباحث "نولي"[1] للنّزاع، إذ يقول:"إنّه قائم في أساسه على تباين في المصالح والمنطلقات الإيديولوجية والتوجّهات السياسية والتّباين الفكري والمفهومي"

وعلى الرّغم من سعي النّظريات السّابقة الحثيث لتفسير مفهومي النزاعات والأزمات، ومحاولتها، بالتالي، الوصول إلى العموميات التي تحصر عبرها جميع تجليات النّزاعات والأزمات وأشكالها وخصائصها، وكذا أسبابها القريبة منها والبعيدة، بيد أن الناظر في السّاحة الإفريقية لا يلبث أن يحكم على تلك النّظريات بعدم عموميتها وشموليتها، كون النّزاعات والأزمات التي تشهدها السّاحة الإفريقية لها خصوصياتها ومميزاتها التي تنفرد بها، فكل نزاع أو أزمة في إفريقيا لها أسبابها ومبرّراتها الخاصّة بها لوحدها، فهي حالة شاذة من بين حالات شاذة أخرى، لا تقبل التعميم، ولا تنطبق عليها، بالتالي، التفاسير التي تقترحها تلك النظريات إلا بشكل جزئي.

وإذا حوّلنا رؤيتنا من الجانب النّظري الذي تفسّر به النّظريات السّابقة ظاهرة النّزاعات والأزمات بشكل عام، ووجّهناها- الرؤية- إلى واقعنا الإفريقي، فإن أولى الحقائق التي تتبدى للعيان، هي أن أزمات إفريقيا جنوب الصّحراء، التي هي محلّ هذه الدراسة، مازالت تتصدّر الأحداث، وغدت تكلفتها الاقتصادية صفة، وما تحصده من أرواح بشرية يشكّل مصدر قلق التّنظيمات الدّولية، كمنظمة الأمم المتّحدة والمنظّمة العالمية للصّحة...إلخ.

ومن خير الأمثلة التي تتجلى من خلالها التّكلفة الاقتصادية والماليـة لأزمـات إفريقيا، هي تقديرات البنك العالمي سنة 2000، حيث قُدّرت التّكلفة المالية لتلك الأزمات بـ 5،2 مليار دولار أمريكي، موزّعة حسب المناطق التّالية:

-1 مليار دولار بالنسبة لإفريقيا الوسطى.

-800 مليون دولار بالنسبة لإفريقيا الغربية.

-500 مليون دولار قدمت كمساعدات للاجئين.

وتجدر الإشارة بهذا الصّدد، إلى أن تقديرات البنك العالمي الـتي أوردناهـا أعلاه لا تمثّل سوى التّكلفة المالية المباشرة الخاصّة بأزمـات إفريقيـا، في حـين يصعب تحديد التّكاليف غير المباشرة الـتي، يبـدو أنهـا، لا تعـدّ ولا تحصـى؛ ونعـني بـذلك التّكـاليف الباهظـة الخاصّـة بالمنشـآت القاعديـة، كالنّسـيج الصّناعي، الصّحي، الثّقافي، التّربوي، والاجتماعي الخ.

وأما بخصوص التّكلفة البشرية، فيمكن أن نمثّل لهابـ: النّزاع الرواندي سنة 1994، حيث قدر عدد الضحايا بواحـد مليـون قتيـل، وفي السّـنة نفسـها، تمّ تهجير أكثر من مليون أنغولي، ووضع أكثر 11 من مليون لغم (أي ما يعادل لغم واحد لكل أنغولي). وعلى العموم فإن أحسن ما يترجم التّكلفة البشرية التي كانت كنتيجة مباشرة للصّراعات والنّزاعات في إفريقيا، هو هـلاك أكثـر من8،5 مليون أفريقي منذ سنة 1947[2].

وفضلا عن التّكاليف المالية والبشرية الباهظة النّاتجة عن أزمـات إفريقيـا، فإنّ الناتج الوطني الخام في البلدان الإفريقية التي تشهد تلـك النّزاعـات، قـد عرف تراجعا خطيرا (أقل من 2%)، الأمـر الـذي يشـكّل تهديـدا مباشـرا لكيان المجتمعات الإفريقية.

أسباب النّزاعات في إفريقيا جنوب الصّحراء:

صنّف الباحث زرتمان ZARTMAN الأسباب الكبرى للنّزاعات في إفريقيا جنوب الصحراء في ستّة أنواع أو أنماط هي:

1- الصّراعات على السّلطة أعقاب إنهاء الفترة الاستعمارية (أنغولا، زمبابوي، ناميبيا).

2- الأزمات الناجمة عن عملية بناء الدولة/ الأمة وتوطيدها، عشية الاستقلال (أنغولا، التشاد... الخ.)

3- الصّراعات الدّاخلية بين عناصر الحركة الوطنية المتنافسة، في أنغولا بين الاتحاد الوطني لتحرير أنغولا(UNITA)[3] والجبهة الوطنية لتحرير أنغولا (FLNA) [4].

4- النّزاعات على الحدود الموروثة عن الفترة الاستعمارية.

- النّزاع بين دولة البنين والنيجر حول جزيرة "ليتي".
- النّزاع بين دولة المالي والبركينافسو.
- النّزاع الحدودي بين دولة الكامرون والنيجر.

وتجدر الإشارة إلى أن منظّمة الوحدة الإفريقية سابقا - الإتحاد الإفريقي اليوم- وافقت في قمة القاهرة سنة 1964 على مبدأ "عدم إعادة النّظر في الحدود الموروثة عن المستعمر"، ولهذا لم تشهد الحدود الإفريقية سوى تعديلات محدودة في الفترة الممتدة ما بين سنة 1960 و1985، حيث تمّ تعديل 10000 كلم من مجمل الحدود الإفريقية المقدرة ب 80000 كلم, أي 13% فقط، في حين بقيت 41%من طول الحدود الإفريقية بدون أية تسوية إلى غاية سنة 1988.

5- النّزاعات التّقليدية و الهيكلية.

6- النّزاعات النّاجمة عن تدخّل قوى عسكرية أجنبية في القارة الإفريقية، وتزويد الأطراف المتنازعة بالأسلحة.

وعلى الرّغم من موضوعية الأسباب السّتة التي قام بها زرتمان، إلا أن عدم أخذه للبعدين التاريخي والجيوستراتيجي بعين الاعتبار أثناء عملية التّصنيف، قد جعل تلك الأسباب تشوبها سمتي الضّعف والسّطحية.

وعلى عكس زرتمان، اقترح الأمين العام السّابق للأمم المتّحدة السّيد كوفي عنان[5] مجموعة من الأسباب التي تبدو أكثر شمولية، كونها تستند في أساسها على استقراء وتحليل عميقين للواقع الإفريقي، ونذكرها على النّحو التالي:

- الأسباب التّاريخية.
- الأسباب الدّاخلية.
- الأسباب الخارجية.

الأسباب التاريخية:

نعنى بالأسباب التّاريخية تلك التي تعود إلى التّقسيم الاستعماري الأوروبي للقارة الإفريقية في مؤتمر برلين سنة 1884 الذي أقر إنشاء مستعمرات (أقاليم) تحوّلت بعد استقلالها إلى "سيادات وطنية " غير متجانسة عرقيا ولا اجتماعيا ولا تاريخيا ولا ثقافيا...الخ.

ولقد أسفر التّقسيم الاستعماري المنبثق عن مؤتمر برلين، عن نتائج جدّ سلبية بالنّسبة للخريطة السّياسية لإفريقيا بعد الاستقلال، واتّضح هذا الأمر بشكل جليّ في خليج غينيا والدّول التّابعة له المجزأة على شكل "قطع"[6]، وكذلك في جمهورية غامبيا التي تقع في "قلب" جمهورية السنغال (300كلم في

العرض)، وأخيرا في الممتلكات الألمانية الممتدّة عبر 450 كلم طـولا و 30 إلى 90 كلم عرضا في مستعمرة ناميبيا[7].

الأسباب الخارجية:

تتمثل الأسباب الخارجية في انعكاسات الحرب الباردة التي حولت السّاحة الإفريقية إلى ميـدان صـراع وتنـافس بـين الـدّول الإفريقيـة لصـالح الـدّول العظمى. إذ تفيد الدّراسات المهتّمة بهذا الجانب أنّ مجمل مبيعات روسيا من الأسـلحة والعتـاد العسـكري في الفـترة مـا بـين 1984 و1988 لثلاثـة دول إفريقية[8]، قد قدّر بـ 1،11 مليار دولار، أما مبيعات الولايات المتّحـدة مـن الأسلحة الموجّهة إلى إفريقيا في الفترة نفسها، فقد قدّرتها تلك الدّراسات بـ 2،7 مليار دولا. ويمكن أن نقول مستندين على الأرقـام السّـابقة، إنّ القـوى الأجنبية قد كانت لها يد طولي في صراعات القارة الإفريقية ونزاعاتها.

الأسباب الداخلية:

تنحصر العوامل الدّاخلية في الصّراعات التّقليدية القديمـة بـين القبائـل و الأعراش، مضافا إليها انتشار الفقر والتّهميش الاجتماعي والسياسي، وكـذا سوء تسيير الأموال العمومية، وفساد أنظمة الحكم المنحصرة في أقليات نافذة استحوذت على وسائل الدولة وسخّرتها لمصالحها الخاصّة ولفئـة قليلـة مـن أتباعها ومناصريها. وعليه يمكن القـول مسـتنتجين، إنّ ظـاهرة الأزمـات في إفريقيا جنوب الصّحراء لن يتم تفسيرها إلا بإيلاء كامـل العنايـة والاهتمـام بكل ما يمتّ إليها بصلة، فصـحيح أن العوامـل التّاريخيـة والخارجيـة تسـهم بشكل كـبير في تفسـير تلـك الأزمـات والإحاطـة بأسـبابها المختلفـة؛ لكـن تفسيرها سيظلّ ناقصا ومحدودا إن لم يُـدعَّم بأسـبابها الدّاخليـة الـتي لا تقـلّ أهمّية عن سابقاتها، خاصة مـا تعلّـق منهـا- الأسـباب الدّاخليـة- بالنّخبـة الحاكمة والسّياسات العمومية المنتهجة.

وجدير بالذّكر ها هنا، إلى أن البنك العالمي قد أصدر سنة 2000 تقريرا موسوما:" هل لإفريقيا مكانة في مطلع الألفية الثالثة". وجاء فيه تفصيل لأهمّ الأسباب الدّاخلية التي تؤدي إلى حدوث الأزمات في إفريقيا جنوب الصّحراء، نوجزها فيما يلي:

1. ضعف نسبة تشغيل الشّباب [والفكرة هنا قائمة على أساس اندماج الشّباب في عالم الشغل، الشّيء الذي يبعده عن الأنشطة التي لها صلة بالنّزاعات و التّوترات].

2. ممارسة القمع وهضم الحقوق السّياسية للمواطن, من مثل: غياب حرية التّعبير السّياسي، وعدم السّماح للمؤسسات التي تؤطره بالظّهور والاشتغال.

3. الاختلاف العقائدي والتّباين القبلي وعدم الانسجام الثّقافي.

4. انعكاسات البرامج الخاصّة بإعادة الهيكلة على المجتمعات الإفريقية، وما ينجرّ عنها من فقر وبطالة، وتفكيك للمنظومة التّربوية إن وجدت، و انهيار الطبقات الوسطى في المجتمع أو حتى انمحائها...إلخ. ويمكن أن نضيف على ما سبق ذكره، البرامج التي فرضها صندوق النّقد الدّولي والبنك العالمي على عدد كبير من الدّول الإفريقية؛ برامج وضعت اقتصاد تلك الدّول تحت رحمة الشركات الرأسمالية العالمية الكبرى وهيمنتها, فغدت عاجزة عن التّحكم في اقتصادها، وما يعود بالفائدة على مواطنيها، خاصّة في المجالات الحسّاسة كالصّحة، التّربية، التعليم، الشغل والمنشآت القاعدية... الخ.

5. الاستبداد بالحكم واحتكار السّلطة ورفض التّداول السّلمي على السّلطة.

نماذج من النّزاعات في إفريقيا جنوب الصّحراء:

على الرّغم من تقدّم عمليات السّلام التي شهدها العقد الأوّل من الألفية الثّانية للميلاد في إفريقيا جنوب الصّحراء، إلا أن النّزاعات المسّلحة فيها لا تزال

تحصد أرواح الأبرياء بالآلاف، وقد امتدّت النّزاعات واتّسعت حتىّ أضحت حروبا بين الدّول، ويمكن أن نذكر من بين تلك الحروب على سبيل المثال:

– أزمة جمهورية الكونغو الديمقراطية التي بدأت في شهر أوت 1998 بحركة تمرّدية داخلية تحوّلت إلى نزاع إقليمي بين القوات الحكومية التي ساندتها أنغولا، ناميبيا، التشاد وزمبابوي من جهة، والفصائل المتمرّدة التي دعّمتها كل من رواندا وأوغندا من جهة أخرى.

– الأزمة التي ظهرت بين إيريتريا وإثيوبيا التي أدّت إلى نشوب حرب بين البلدين دامت ثلاثة سنوات (1998 إلى 2000)، ولم تتحقق بعد عملية رسم الحدود بينهما.

– الأزمة التي ظهرت بين التشاد وجمهورية إفريقيا الوسطى، والتي شهدت في سنة 2005 انزلاقات خطيرة، مما استلزم انتشار قوى عسكرية أوروبية[9] في البلدين لحماية اللاجئين السّودانيين الوافدين من إقليم دارفور على وجه الخصوص.

– النّزاع القائم بين جيبوتي وإيريتريا من جهة، وإيريتريا وإثيوبيا من جهة أخرى، بحيث أسفرت الحرب التي دارت بينهم عن مقتل أكثر من 80000 شخص بين سنة 1988 و 2000.

أمّا عن النّزاعات التي اتّخذت طابع الحرب الأهلية أو الحركة التمرّدية فهي عديدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– أزمة البوروندي التي أسفرت عن مقتل أكثر من300000 شخص منذ سنة 1993، ولم يشهد الوضع الدّاخلي تحسّنا، على الرّغم من توصّل السّلطة المركزية والفصائل الانفصالية إلى إبرام اتفاقية تقضي بوقف إطلاق النار.

– أزمة السينيغال التي عرفت توقيع اتفاق في شهر ديسمبر 2004 لإعادة السّلم في إقليم الكزامانس (جنوب البلاد) بعد نزاع خاضته حركة انفصالية منذ سنة 1982.

– الحرب الأهلية التي عاشتها ليبيريا، والتي استمرت، بدون انقطاع، نحو 14 سنة منذ 1989، وأسفرت عن سقوط ما لا يقلّ عن 300000 قتيل.

– أزمة أوغندا التي أسفرت منذ 1988 عن عشرات الآلاف من القتلى، إضافة إلى1،6 مليون نازح.

– أزمة ساحل العاج التي تعدّ أخطر نزاع سياسي عسكري، والتي ظهرت إثر التمرّد المسلّح الذي بدأ في سبتمبر 2002 ضدّ النّظام القائم للرئيس لوران كباكو، وقد أدّت الأزمة إلى انقسام البلد قسمين، وسيطرة المتمرّدين على قسمه الشّمالي، ولم تطبق حتى الآن اتفاقات السّلام المتوصّل إليها في جانفي 2003.

– أزمة دارفور (غرب السودان)، وهي أخطر الأزمات التي تشهدها القارة الإفريقية اليوم، إذ أسفرت حسب آخر التّقديرات عن مقتل أكثر من 300000 شخص و 2،7 مليون نازح.

دور الجزائر في حل بعض النّزاعات في إفريقيا جنوب الصّحراء:

انتهجت الجزائر منذ استقلالها سياسة خاصّة تجاه النّزاعات التي تعرفها بعض الدّول الإفريقية. وتكمن المبادئ التي ارتكزت عليها الجزائر من أجل تسوية الخلافات فيما يلي:

1. يدور المبدأ الأوّل حول القاعدة العامة التي تبنتها منظّمة الوحدة الإفريقية في قمّة القاهرة سنة 1964 والرّامية إلى عدم مراجعة الحدود الموروثة عن الإدارة الاستعمارية.

2. يقوم المبدأ الثّاني على ضرورة تسوية الخلافات والنّزاعات في إطارها الإفريقي.

3. يتمحور المبدأ الثالث حول انتهاج الأسلوب السّلمي في حلّ الخلافات.

4. يتلخّص المبدأ الرّابع في حقّ الشّعوب في تقرير مصيرها.

أما فيما يخصّ الحركات الانفصالية، كالحركة التي شهدتها منطقة الكاتنقا[10] في أنغولا، وحركة البيافرا[11] في نيجيريا في الستينات، فإنّ موقف الجزائر منهما قد كان إلى جانب السّلطة المركزية مدعّمة بذلك إحدى مبادئ ميثاق منظّمة الوحدة الإفريقية القائم على احترام الوحدة التّرابية للدّول الأعضاء.

أما النّزاعات الإفريقية ذات الأبعاد غير الانفصالية، فكان موقف الجزائر منها مبني أساسا على "القرابة الإيديولوجية"، فكان موقفها، على سبيل المثال، إلى جانب الحركة الشّعبية لتحرير أنغولا[12] التي خاضت معركة تحرير البلاد ضد الاستعمار البرتغالي، ثم قامت بعد ذلك بمعركة أخرى ضد منافسيها في السلطة كالجبهة الوطنية لتحرير أنغولا[13] والاتحاد الوطني لتحرير أنغولا[14]

وكان للجزائر نفس الموقف المبني على الاعتبارات الإيديولوجية، فيما يخصّ دعمها للجبهة الوطنية لتحرير التشاد[15] ضد الحكومة المركزية الموالية للإدارة الاستعمارية الفرنسية السّابقة. كما نسجّل المنطلقات الإيديولوجية نفسها فيما يخصّ مساعي الجزائر لحلّ النزاع الذي كان قائما بين غينيا وغانا من جهة، وبين تنزانيا وأوغندا من جهة أخرى.

غير أنّ الاعتبارات الإيديولوجية، كانت بالنّسبة للجزائر محلّ مراجعة مستمرّة، وهذا قصد جعل تلك الاعتبارات متماشية مع الأوضاع المستجدّة، وخير مثال عن هذا، مساندة الجزائر في بادئ الأمر للحركة الإيريتيرية، وتغيير موقفها بعد انتهاء حكم الإمبراطور هيلاسيلاسى[16]. و اقتراب الجزائر بأديس أبيب.

ونسجّل في الأخير دور الجزائر الرّائد والفعّال في حلّ الخلافات والنّزاعات التي شهدتها إفريقيا بعامة، ودول جنوب الصّحراء بخاصة، وهذا

ما يترجمه قيامها بدور الوساطة بين الدّول المتنازعة في العقد الأول من سبعينات القرن الماضي، ونشير هنا على وجه الخصوص، إلى مساهمة الجزائر في فضّ النّزاع بين الصومال وإثيوبيا من جهة، وبين تنزانيا والبوروندي من جهة أخرى. و قد كان للجزائر، فضلا عمّا سبق، دور حاسم في إنهاء الخلاف القائم بين المغرب وموريتانيا بمناسبة انعقاد قمّة منظمة المؤتمر الإسلامي في مدينة الرباط سنة 1969.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

- Sabeur Cherif Khaled, la politique africaine de l'Algérie, Mémoire de DEA, Université de la Sorbonne- Nouvelle –Paris, 1983.

- Sabeur Cherif Khaled, Le Maghreb dans les relations extérieures du Sénégal, Doctorat De III eme cycle, Université de la Sorbonne –Nouvelle, Paris ,1988 .

- Annan KOFI, « Rapport sur les causes des conflits et de la promotion d'une paix et d'un Développement durables en Afrique », New York, ONU, 1998.

- Banque Mondiale, l'Afrique peut –elle revendiquer sa place dans le XX les. ?, Washington, 2000.

- Noli Okwudiba, Ethnic conflicts in Africa, Codesria, Dakar, 1998, 417p.

- Zartman I.W, la résolution des conflits en Afrique, l'Harmattan, Paris

الهوامش:

(1) Noli Okwudiba, Ethnic conflits in Africain, Ed. Codesria, Dakar, 1998.

(2) عرفت 16 دولة افريقية، في سنة 1999 نزاعات داخلية أو على الحدود. مما تسبب في تهجير أكثر من 23 مليون شخص.

(3)UNITA = Union Nationale pour l'indépendance de l'Angola

(4)FNLA = Front National de libération de l'Angola

[5]Kofi ANNAN, Les causes des conflits et de la promotion d'une paix et d'un Développement durables en Afrique, New York, ONU, mai 1998.

[6]« Les Etats en forme de tranches du Golf de Guinée ».

[7]أعتبر بسمارك هذا "الرواق" الواقع بين الممتلكات البريطانية و البرتغالية ممرا استراتيجيا في اتجاه نهر الزمباز.

[8] أنغولا ،إثيوبيا و الموزمبيق

[9]L'EUFOR.

[10]Katanga

[11]Biafra

[12]MPLA

[13]FLNA

[14]NITA

[15]FROLINAT

[16]Hailé Sélassié

قراءة منهجية لكتاب
"تحفة الكبار في أسفار البحار" لكاتب جلبي

د. محمد دراج

أستاذ محاضر بجامعة الجزائر ـ 2 ـ

تمهيد:

يعد كاتب جلبي الشهير عند الباحثين العرب باسم: "**حاجي خليفة**" أحد النوابغ العلمية الموسوعية الذين أنجبتهم الدولة العثمانية في القرن السابع عشر. ولئن اشتهر بين الباحثين العرب والمسلمين بكتابه "**كشف الظنون في أسامي الفنون**" إلا أن الكتاب الذي نريد أن نقوم بعرضه في هذه المقالة له أهمية خاصة جدا. نظرا لكونه يعد أحد أهم المصادر التركية التي تتناول التاريخ البحري العثماني. ولأن المؤلف خصص حوالي 60 صفحة من كتابه للحديث عن الجزائر وإن هذا المصدر يكتسي أهمية أخرى نظرا لكونه يسلط الضوء على تاريخ البحرية العثمانية ـ الجزائرية خلال القرني 16 و17.

ولأهمية هذا الكتاب ضمن مصادر التاريخ البحري، فإن منظمة اليونيسكو قامت بتنظيم احتفالية خاصة لإحياء الذكرى 400 لميلاد كاتب جلبي في سنة 2009 بإسطنبول. وقامت بالتعاون مع البحرية التركية بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية. وفي هذه المقالة محاولة للتعريف بالمؤلف وأهم مصنفاته. وكذا تسليط الضوء على كتابه القيم:" **تحفة الكبار في أسفار البحار**"

التعريف بمؤلف الكتاب:

العالم الموسوعي التركي الذي لمع نجمه في القرن السابع عشر الميلادي. اسمه الحقيقي مصطفى، واسم والده عبد الله. اشتهر باسم: **حاجي خليفة**[1]. **وكاتب جلبي**. ولد في إسطنبول سنة 1609 وتوفي بها سنة 1657م. نشأ في مدرسة أندرون الخاصة بإعداد الكوادر الإدارية والعسكرية في الدولة العثمانية. تلقى علومه على العديد من علماء عصره أمثال الشيوخ: **خليفة القرمي، وإلياس خوجة والخطاط أحمد شلبي**[2].

التحق بوالده للعمل في ديوان هومايون[3]، حيث عمل محاسبا. فمكنه هذا المنصب من اكتساب خبرة في المحاسبة فضلا عن تدربه على خط السياقة[4].

تولى عدة مناصب في الجيش العثماني. ومن خلال هذه المناسب اشترك في حملات عديدة في مناطق مختلفة من العراق للتصدي للصفويين في سنوات: 1626، 1630، 1635. كما اشترك في قمع الثورات التي اندلعت في أرضروم وديار بكر سنة 1628. وخلال ذلك تمكن من تسجيل مشاهداته في كتابيه: **جهانومة وفذلكة**[5]. وفي أثناء وجوده في إحدى الحملات لقمع الثورات التي اندلعت في شرق الأناضول. انتهز فرصة انسحاب الحملة إلى حلب فزار البقاع المقدسة حيث أدى فريضة الحج.

لم تمنعه خدمته في الجيش من تلقي العلوم المختلفة عندما كان يعود إلى إسطنبول. ولأجل ذلك التحق بدروس العالم **قاضي زادة أفندي** فتأثر به كثيرا. حيث قرأ عليه التفسير وإحياء علوم الدين وشرح المواقع والدرر والطريقة المحمدية[6]. كما حضر دروس عالم العصر صاحب الفضائل **الشيخ الأعرج مصطفى أفندي**[7]. وقد خصّ هذا الأخير كاتب جلبي بعناية خاصة نظرا لتميزه عن غيره من طلابه. فقرأ عليه كاتب جلبي كتب **الأندلسية،**

وهداية الحكمة حتى الباب الرابع **وشرح ملخص الهيئة**. كما حضر الدروس العامة التي كان يلقيها الشيخ **كجي محمد أفندي** في جامع أياصوفيا والسليمانية.

وفي أثناء وجوده في ديار بكر خلال إحدى الحملات في شرق الأناضول لقي العديد من العلماء واستفاد منهم من خلال جلسات المناظرة التي كان يعقدها معهم في سنة 1635.

ترك كاتب جلبي الخدمة في الجيش ليتفرغ بشكل كامل للعلم والمعرفة. وأنفق ما جمعه من مال وما ورثه عن والده لاقتناء آلاف الكتب. كما شرع في تدوين أسماء الكتب التي شاهدها خلال وجوده في حلب عند الصحافين. واهتم بتقييد كتب التاريخ والطبقات والتراجم على وجه الخصوص لكونه كان شغوفا بقراءتها، فلم تأت سنة 1636 حتى كان كاتب جلبي قد فرغ من قراءة معظم تلك المصنفات[8].

خلال انشغاله بالتدريس لبعض طلبته انشغل إلى جانب ذلك بدراسة علم الخرائط، وذلك خلال حملة كريت سنة 1645. وفي أثناء مرضه انشغل بدراسة كتب الطب من أجل مداواة نفسه فتمكن بفضل ذلك من اكتساب معارف طبية كثيرة. كما قام بترجمة بعض الآثار من اللاتينية إلى التركية بفضل المسلم من أصل فرنسي محمد إخلاصي.

توفي كاتب جلبي صبيحة 27 ذي الحجة 1067هـ الموافق لـ06 أكتوبر 1657 ودفن بالمقبرة المجاورة لجامع زيرق بإسطنبول.

مكانته العلمية:

أعطى كاتب جلبي أهمية كبيرة للدراسات التاريخية والبيبلوغرافيا. ولتوسيع معارفه التاريخية تمكن من الاطلاع بشكل واسع على المصادر

التاريخية. فقد ذكر بأنه في أثناء تأليفه لكتاب "**فذلكة**" راجع 1300 مصدر. وأعاد هذا التصريح عند حديثه عن كتابه: "**تقويم التواريخ**".

بالإضافة إلى اهتمامه بالدراسات التاريخية اهتم كاتب جلبي أيضا بالجغرافية واعتنى بها عناية خاصة. وإدراكا منه لتفوق الجغرافيين الغربيين واليونان على المسلمين في هذا العلم ألف كتابه"**جهانومة**" لاستدراك هذا النقص.

انتقد في مؤلفاته التاريخية معاصريه ومن تقدمه من المؤرخين الأتراك أمثال زكريا القزويني في كتابه **أعشار البيلود**، وعالي مصطفى أفندي في كتابه **كنه الأخبار ومرآة العوالم**، وكذا الحديدي في منظومته **التاريخ العثماني** وغيرهم.

نال كاتب جلبي اهتماما كبيرا لدى الباحثين الأتراك والغربيين على حد سواء باعتباره أحد نوابغ القرن 17 م. يدل على ذلك اعتناؤهم بكتابه كشف الظنون في أسامي الفنون باعتباره كتابا موسوعيا ومرجعا أوليا في الدراسات الشرقية. ولا غرابة أن تترجم العديد من مؤلفاته إلى مختلف اللغات العالمية.

اهتم كاتب جلبي بدراسة المشكلات الاجتماعية والفكرية التي عايشها في عصره وتناولها بالدراسة والتحليل. وذلك إيمانا منه بأن العالم يجب أن يمثل صوت العقل لدى الدولة والمجتمع. ومن أجل ذلك ساهم في البحث عن الحلول الملائمة لمشاكل مجتمعه.

وليس من المبالغ فيه إذا اعتبرنا كاتب جلبي من أبرز المتأثرين بمدرسة ابن خلدون التاريخية من خلال مزجه بين حركة التاريخ وحركة المجتمع وفعالياته. ويتجلى ذلك بالتأمل في كتابه القيم:" **دستور العمل**".

أهم مؤلفاته التاريخية:

ترك كاتب جلبي العديد من المؤلفات ذات القيمة العلمية الكبيرة في مختلف العلوم. وبخصوص الدراسات التاريخية التي خلّفها نشير إلى أهم مؤلفاته:

1. **فذلكة التواريخ:** كتاب في التاريخ العام منذ ظهور الخليقة حتى سنة 1641م. (مخطوط له نسخة واحدة في فرع المكتبة الوطنية ببايزيد بإسطنبول).

2. **فذلكة:** كتاب يتناول الحوادث الواقعة خلال الفترة (1592– 1655). الكتاب مطبوع بالتركية القديمة والحديثة.

3. **تحفة الكبار في أسفار البحار:** كتاب تطرق فيه إلى المعارك الحربية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار في مطلع القرن السادس عشر والسابع عشر حتى سنة 1656م. يعد هذا الكتاب أهم كتاب في تاريخ البحرية العثمانية. نشر لأول مرة سنة 1729. ثم نشر بعد ذلك عدة مرات. كما نشر لأول مرة بالتركية الحديثة سنة 1973. ترجم إلى الإنجليزية ونشر من طرف منظمة اليونيسكوا سنة 2009 بمناسبة الاحتفالية التي نظمت في إسطنبول بمناسبة الذكرى 400 لميلاد كاتب جلبي.

4. **تقويم التواريخ:** كتاب في التاريخ العام من آدم عليه السلام حتى 1648. ألفه بالعربية ورتبه على الحوليات. طبع في أجزاء متفرقة لأول مرة سنة 1728. ثم أعاد نشره الباحث التركي علي سواري مذيلا بتعليقات هامة.

5. **ترجمة تاريخ افرنجي:** نشر في باريس من طرف جون كاريون سنة 1548. الكتاب مرتب على طريقة الحوليات. ترجمه كاتب جلبي بمساعدة المهتدي الفرنسي محمد إخلاص. (توجد نسخة مخطوطة وحيدة في مكتبة عزة كويون اوغلو بقونيا ـ تركيا).

6. **إرشاد الحيران إلى تاريخ اليونان والروم والنصارى:** كتاب يتناول تاريخ الدول الأوربية. اشتمل على معلومات نادرة تتعلق بالدول الأوربية. ألفه للمؤرخين المهتمين بالتاريخ الأوربي. الكتاب يحتوي على 56 ورقة. مقسم إلى قسمين: الأول: يتناول أديان ومذاهب أوربا، والثاني: النظام الإداري في أوربا.

7. **سلم الوصول إلى طبقات الفحول:** كتاب في الطبقات مرتب على الحروف. مؤلف بالعربية، قسم إلى قسمين: القسم الأول خصصه للمشهورين بأسمائهم، والثاني: خصصه للمشهورين بأنسابهم وكناهم وألقابهم. الكتاب اعتمد على كتاب السيوطي:" **تاريخ اللباب** " وأضاف إليه من غيره من المصادر يزيد عددها عن 100مصدر. توجد منه نسخة مسودة يبدو أن المؤلف لم يفرغ من تأليفها في مكتبة السليمانية. وضع له العلامة أوسطاقي زادة ذيلا أكمل به الترجمة للأعلام الذين لم يدركهم كاتب جلبي زادة حتى سنة 1761.

8. **جهانومة:** كتاب مشهور ألفه كاتب جلبي في الجغرافيا.

9. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** موسوعة باللغة العربية تناول فيه كاتب جلبي التعريف بالمؤلفات العربية منذ عصر ابن النديم مؤلف كتاب الفهرست حتى عصره. الكتاب مطبوع عدة مرات في مختلف البلدان[9].

التعريف بكتاب تحفة الكبار في أسفار البحار:

الكتاب تناول التعريف بأهم المعارك البحرية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار منذ القرن الخامس عشر حتى عصر المؤلف. وقد نشر الكتاب في جزئين، كل منهما مكون من عدة فصول.

أولا: الجزء الأول يتكون من مدخل وتسعة فصول:

المدخل: أورد فيه المؤلف معلومات جغرافية تتعلق بالبحار والمحيطات، معطيا أهمية خاصة لسواحل البحر المتوسط وإيجة والجزر الواقعة فيهما مثل: جزيرة المورة وسواحل ألبانيا والبوسنة والجمهوريات الإيطالية وفرنسا وإسبانيا[10].

الفصل الأول: خصصه للحديث عن الأساطيل العثمانية، والفتوحات التي قاموا بها، ونماذج مختصرة عن المعارك التي وقعت منذ منتصف القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر[11].

الفصل الثاني: خصصه للحديث عن الحروب العثمانية في البحر المتوسط خلال عصر خير الدين بربروس. وهنا نلاحظ بأنه خصص حوالي 60 صفحة للحديث عن الجزائر. ذكر بأنه اعتمد فيها على مذكرات خير الدين بربروس، وأنه ينقل ما ورد فيها ملخصا[12].

ومن أهم المباحث التي تناولها في هذا الفصل مما له علاقة بالجزائر:

- غزوات عروج وخير الدين، ص 41
- محاصرة بجاية وفتح جيجل، ص 43
- قدوم عروج إلى الجزائر، ص 44
- هجوم أساطيل الكفار والقبائل البدوية على قلعة الجزائر، ص 45
- فتح تنس، ص 46
- فتح تلمسان، 47
- قدوم الكفار لغزو قلعة الجزائر، ص 48

- استيلاء حسن باي على تلمسان، 49
- مقتل الأسرى بالجزائر، ص 50
- هزيمة سلاطين تونس وتلمسان، ص 51
- الاستيلاء على تلمسان للمرة الثانية، ص 52
- تمرد ابن القاضي، ص 52
- هجرة خير الدين إلى جيجل، ص 53
- غزوات خير الدين في جيجل، ص 54
- الحرب والسلام مع سلطان تلمسان عبد الله، ص 56
- موضوع حصن الجزيرة، ص 56
- الاستيلاء على الحصن، 56
- غزوة أيدين رئيس، ص 57
- ظهور أندريا دوريا وغارة خير الدين، ص 57
- فرار أندريا دوريا والمعركة في البر، 59
- استيلاء أندريا دوريا على قورون وتمرد سلطان تلمسان، ص 60
- أحوال الموريسكيين في إسبانيا، ص 61
- مخادعة أندريا دوريا واحتياط خير الدين، 62
- اعتقال الأسرى الكفار وإعدامهم، ص 62
- وفود خير الدين على السلطان العثماني، ص 64
- سفر خير الدين إلى حلب، ص 68

الفصل الثالث: خصصه للحديث عن الحوادث التي وقعت في أثناء تولي خير الدين لقيادة الأسطول العثماني. ومن أهم الموضوعات التي تطرق إليها:

- الأحوال البحرية في أثناء تولي خير الدين باشا لقيادة الأسطول العثماني، ص 66
- الغزوات الأولى لخير الدين باشا، ص 66
- استيلاء الكفار على قلعة تونس بعد معركة شديدة، ص 67
- استيلاء خير الدين على جزر البندقية، ص 76
- هدايا خير الدين المرسلة إلى السلطان، ص 77
- حملة خير الدين الثالثة، ص 77
- معركة خير الدين الكبرى، ص 81
- انهزام الكافر وفراره، ص 83
- غارة الكفار على حصن نوفا، ص 86
- حملة ملك إسبانيا على الجزائر، وصمود حسن باشا،ص 89
- طلب فرنسا مساعدة الدولة العثمانية وتدخل السلطان، ص 89

الفصل الرابع: خصصه للحديث عن غزوات قادة الأسطول العثماني بعد خير الدين وظهور بيالة باي[13].

الفصل الخامس: غزوات بيالة باي[14].

وفي هذا الفصل تحدث عن بعض الموضوعات ذات العلاقة بتاريخ الجزائر العثمانية وغيرها من بلدان المغرب العربي في بداية القرن السادس عشر، منها:

- مساعدة العثمانيين لفرنسا، ص 106
- غزو وهران، ص 109
- الحملة على بنزرت، ص 109
- الحملة على جربة، ص 111
- نهب جزيرة مالطا، ص 112
- استشهاد تورغوت رئيس، ص 120

الفصل السادس: حول غزوات علي باشا[15].

الفصل السابع: حول قادة الأساطيل العثمانية وغزواتهم لجزيرة كريت[16].

الفصل الثامن: شرح أسباب الخروج لغزو جزيرة كريت[17].

ثانيا: الجزء الثاني من الكتاب قسمه إلى عدة أقسام. أهمها:

القسم الأول: التعريف بأهم قادة الأساطيل العثمانية حتى عصر المؤلف[18].

القسم الثاني: حول التشيكلات البحرية ونظمها وقوانينها[19].

القسم الثالث: غزوات الأسطول العثماني في البحر واللوائح المنظمة لذلك[20].

القسم الرابع: اللوائح المنظمة لغزوات البحر[21].

القسم الخامس: أنواع السفن ورياس البحر وعمال الموانئ[22].

القسم السادس: مالية الأسطول العثماني[23].

القسم السابع: حول غزوات البحر ونصائح البحارة[24].

التوضيحات: اشتملت على الهوامش التوضيحية التي ذيلها ناشر الكتاب

القاموس: اشتمل على العديد من المصطلحات التاريخية الواردة في الكتاب مرتبة على حروف المعجم.

ملاحظات منهجية حول الكتاب:

أشار المؤلف إلى أنه اعتمد على مذكرات خير الدين بربروس في روايته للأحداث المتعلقة بالوجود العثماني في المنطقة خلال الفترة الأولى من القرن السادس عشر. وقد لوحظ بأن المؤلف التزم بما ذكره في مقدمة الكتاب غير أنه بالمقارنة بين ما ورد في الكتاب موضوع الدراسة، وما ورد في مذكرات خير الدين بربروس[25] نجد بأن المؤلف قد استفاد من مصادر أخرى غير المذكرات. وذلك بالنظر إلى وجود تفاصيل ليست مذكورة في المذكرات.

كما نشير إلى أن المؤلف يعد من أوائل المؤرخين الأتراك الذين اتجهوا بهذا المنهج إلى دراسة التاريخ الموضوعي، بعدما كانت الكتابة التاريخية تنهج منهج الحوليات التي تجعل من السلطان محورا للحوادث التاريخية. فخصص كاتب جلبي كتابه لدراسة موضوع واحد هو المعارك الحربية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار، خصوصا البحر المتوسط الذي كان ميدانا أساسيا للصراع بين أوربا ممثلا في إسبانيا وحلفائها من جهة، والعالم الإسلامي ممثلا في الدولة العثمانية من جهة ثانية. وذلك خلال فترة زمنية محددة هي القرن 16 ومنتصف القرن 17 الميلاديين.

وكغيره من المؤرخين العرب والمسلمين غلب على دراسته أسلوب الإطراء والإعجاب بالبحرية العثمانية. حيث يلاحظ القارئ حديثه بإعجاب كبير وإشادة بالغة بالانتصارات التي حققتها الأساطيل العثمانية، والمبالغة في تضخيم خسائر أساطيل الأعداء دون الإشارة إلى هزائم العثمانيين وخسائرهم. وحتى وإن اضطر إلى ذلك فإنه يكتفي بالمرور عليها بشكل سريع.

وبالرغم من اعتبار الكثير من الباحثين أن كاتب جلبي متأثر إلى حد كبير بمنهج ابن خلدون في دراسة التاريخ، نظرا لاهتمامه بنقد غيره من المؤرخين، والاهتمام بحركية المجتمع؛ إلا أنه لم يوظف ذلك في كتابه هذا. بل اكتفى بما ورد في مذكرات بربروس وغيرها من المصادر الأخرى التي استعان بها دون تمحيص أو نقد.

كما أنه تابع خير الدين بربروس في إغفال أسماء الكثير من الأماكن والأشخاص والحوادث التي تحتاج إلى التصريح بها لكي يتمكن الباحث من الرجوع إليها ودراستها انطلاقا من المعلومة الدقيقة التي ذكرها كاتب جلبي.

بعض مآخذ الكتاب:

سجلنا على الكتاب بعض المآخذ كالخطأ في تثبيت الأماكن،كزعمه بأن بجاية تقع في نواحي طرابلس[26]، وزعمه بأن الذي وقع في الأسر لدى فرسان القديس يوحنا بجزيرة رودوس هو خير الدين[27]، بينما المذكرات تصرح بأنه عروج وليس خير الدين[28]. ولوحظ عدم تثبته من المعلومات التاريخية وخلطه بين الحفصيين والزيانيين. فقد زعم مثلا بأن أخَ السلطان التلمساني لجأ إلى إسبانيا طالبا مساعدته على استرجاع عرشه من السلطان المغتصب له في تلمسان. فأعانه الإسبان بتسهيل استيلائه على تنس. وهذا ينطبق على الأمير الزياني يحيى الثابتي الذي أجلسه الإسبان على عرش تنس نكاية في عمه أبي حمو الثاني الذي قاومهم في وهران[29]. كما لوحظ عليه ـ مثلما أشرنا إلى ذلك

سابقا ـ تضخيم أرقام الغنائم وأعداد الأسرى والسفن التي يتم غنمها في المعارك الحربية ضد السفن والجيوش المسيحية. وفي المقابل يتجاهل خسائر العثمانيين البشرية والعسكرية. ويؤاخذ على الكتاب أيضا اعتماده على مصادر أخرى غير المذكرات دون أن يصرح بها. ويتجلى ذلك في تطرقه إلى أحداث وقعت بعد "المذكرات" التي تنتهي حوادثها عند حملة شرلكان على الجزائر سنة 1541. ولا شك أن عدم ذكر كاتب جلبي لمصادره يجعل الباحث مضطرا إلى التنقيب عن تلك المعلومات في مصادر أخرى لتوثيقها.

أهمية الكتاب:

الكتاب بالنسبة لدراسة تاريخ المغرب العربي الحديث وتاريخ الجزائر على وجه الخصوص يعد أحد أهم المصادر التركية الأصلية التي يجب أن تأخذ حيزها اللازم من الاهتمام. وذلك نظرا لكون المؤلف جمع بين صفتين نادرا ما تجتمع في غيره من المؤرخين وهما: كونه أحد موظفي الدولة العارفين بخباياها، وكونه رجل علم وثقافة موسوعية مكنته من الإمساك بزمام البحث التاريخي. وفضلا عن ذلك فإن المؤلف قد عاصر الوجود العثماني في الجزائر. ولا شك أنه كان على دراية بمجريات الأحداث عن قرب بحكم إقامته في إسطنبول وقربه من أصحاب القرار ورجالات الدولة ـ وكان واحدا منهم ـ

ولا تكمن أهمية الكتاب في جانبه المعرفي والمعلوماتي فحسب؛ بل امتاز بسلاسة أسلوبه حيث كتب بلغة تركية سهلة خالية من التكلف والتعقيد.

ونظرا لأهمية الكتاب فإن الجزء الخاص بالجزائر يستحق أن يترجم إلى اللغة العربية لكي يتمكن الباحثون الجزائريون من الاستفادة منه والرجوع إليه عند الحاجة.

هذا؛ وقد عرف الغربيون أهمية هذا الكتاب فقامت منظمة اليونيسكو بترجمته ونشره باللغة الإنجليزية بمناسبة الذكرى 400 لوفاة مؤلفه كاتب جلبي. فياليت المنظمات العربية أو الوطنية المهتمة بالعلوم والثقافة تأخذ زمام المبادرة وتقوم بترجمة الكتاب ونشره باللغة العربية لتعميم الفائدة للقارئ والباحث العربي.

الهوامش:

---

(1) Abdülhak Adnan Adıvar. ***Osmanlı Türklerinde İlim***, İstanbul 1943, s. 105

(2) **نفسه**، ص 105

(3) ديوان همايون: مجلس ورزاء الحكومة العثمانية.

(4) خط السياقة هو الخط الذي كانت تكتب به الرسائل المشفرة ذات الطبيعة العسكرية والأمنية في الدولة العثمانية.

(5) سيأتي التعريف بهما عند الحديث على مؤلفات كاتب جلبي.

(6) Kâtib Çelebi*: Hayatı oe Eserleri Hakkında İncelemeler*, Ankara 1985,s 38

(7) *Osmanlı Müellifleri*, İstanbul III, 124-131

(8) *Bilgi, XI*/128. İstanbul 1957 (Kâtib Çelebi özel sayısı)

(9) لمزيد من التفاصيل عن شخصية كاتب جلبي ومؤلفاته، انظر:

Şeyhî, *Vekâyİu't-fuzalâ.* I, 262-264.Bursalı Merımed Tâhir, *Müverrihini ösmâniyye'den Âlî ,Kâtib Çelebİ'nin Tercüme-i Halleri*, Selanik 1322, s. 18-43; *Osmanlı Müellifleri*, İstanbul III, 124-131; Ab-dülhaK Adnan Adıvar. *Osmanlı Türklerinde İlim*, İstanbul 1943, s. 105; Bekir Kütükoğlu, *Kâtib Çelebi "Fezleke"sinin Kaynakları*, İstanbul 1974; Ba-binger (Üçok). s. 214-223; Ornan Saik Gökyay. *Kâtib Çelebi: Yaşamı. Kişiliği ve Yapıtlarından Seçmeler*, Ankara 1982; *Kâtib Çelebi: Hayatı oe Eserleri Hakkında İncelemeler*, Ankara 1985; Ali

Canip [Yöntem]. "*Kâtib Çelebi'de Liberallik*", HM, 111/ 20 (1927), s. 462; Bilgi, XI/128. İstanbul 1957 (Kâtib Çelebi özel sayısı)

(10) ص 5–17

(11) ص 18–40

(12) ص 41–90

(13) ص 91

(14) ص 106

(15) ص 130

(16) ص 152

(17) ص 185

(18) ص 213

(19) ص 225

(20) ص 233

(21) ص 233

(22) ص 235

(23) ص 238

(24) ص 245

(25) كان لنا شرف ترجمة المذكرات من التركية إلى العربية اعتمادا على نسخة مكتبة جامعة إسطنبول التي نشرها المؤرخ التركي الأستاذ يلماز أوزتونا باللغة التركية الحديثة. وقد نشر الكتاب من طرف شركة الأصالة للنشر والتوزيع بالجزائر في نوفمبر2010.

(26) انظر **تحفة الكبار**، ص 42

(27) **نفس المصدر**، ص 43

[28] انظر: **مذكرات خير الدين بربروس**، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر 2010، ص23

[29] انظر ما أورده كاتب جلبي في **التحفة**، ص 46.

كلمة وداع
الأستاذ. د. موسى لقبال

إذا كان انقضاء الأجل ونهاية العمر خاتمة لمشوار الحياة وتوقف لمسيرة العطاء فإنه بلا شك لحظة تأمل في واقع الوجود ومراجعة للنفس واستحضار لذكريات الماضي، وهذا ما استبد بشعوري وملك على إحساسي عندما بلغني نبأ وفاة أستاذنا الدكتور موسى لقبال في 11 فبراير 2009 ، فلم أملك نفسي إلا أن أخط كلمات عرفان وتحية في وقفة قد تعجز العبارات عن الإفصاح عنها، ولكن واجب الصداقة وحق الزمالة يفرض علي أن أسجل ذكريات جمعتني وإياه في رحاب الجامعة الجزائرية.

إن الأستاذ موسى لقبال ينتمي للجيل الأول بعد الاستقلال من ذوي الثقافة العربية الأصيلة، فهو نتاج حركة النهضة العربية في جزائر الخمسينات التي ساهمت بها المدارس الحرة واحتضنها جامع الزيتونة بتونس واستقت منابعها من زخم الثقافة العربية بالمشرق العربي. قضى الأستاذ موسى لقبال طفولته بمسقط رأسه بريكة التي ولد بها سنة 1934، حيث تشرب التقاليد العربية الأصيلة التي عرفت كيف تحافظ عليها بطون أولاد دراج بمنطقة الحضنة؛ وبعد أن تلقى تعليمه الأول بالكتاب وبالمدارس العربية بموطنه التحق بجامع الزيتونة ليستكمل فيه دراسته الثانوية وليتحصل على شهادة التطويع ليمارس بعدها مهنة التعليم بالمدرسة الحرة بعين عبيد؛ ولم يطل به الأمر حتى التحق بمصر ليزاول دراسته بجامعة القاهرة فتخرج منها بشهادة الليسانس في التاريخ، ليعود بعدها إلى تونس حيث علم بإحدى المدارس فترة قصيرة.

وبعد الاستقلال استقر بالجزائر ليكمل رسالته التعليمية كأستاذ بثانوية عمارة رشيد (1962-1963)، وعندما افتتح فرع التاريخ والجغرافية بمعهد الدراسات العربية العليا بجامعة الجزائر لتخريج أساتذة التعليم الثانوي، كان من المعيدين الذين انتدبوا للتدريس به سنة 1963، فكان لنا شرف الدراسة عليه طيلة ثلاث سنوات (1963-1966). وكما هو معروف فإن معهد الدراسات العربية العليا بجامعة الجزائر، الذي يمنح لخريجه شهادة الكفاءة العليا في التعليم (C.A.P.E.S.)، هو استمرار للمعهد الذي أنشأه وأشرف عليه المستشرق الشهير هنري بيريس، وقد واصل هذا المعهد مهمته بعد الاستقلال بمنهج جزائري وتوجه ثقافي عربي إسلامي، فاستقطب خيرة الطلاب الجزائريين الذين درسوا بالمعاهد العربية أو بجامع الزيتونة، فأعطى دفعا للغة العربية، لكن النظرة الضيقة لبعض المسئولين آنذاك والجو المعادي للعربية بالجامعة الجزائرية، أدت إلى غلقه لوقف عجلة التعريب بالجامعة الجزائرية، فلم تتخرج منه سوى دفعتان في اللغة والأدب العربي ودفعة واحدة في التاريخ والجغرافية مؤلفة من 55 طالبا تحملوا، مع خريجي جامعات المشرق العربي، عبء تعريب مادة التاريخ للسنة الأولى من التعليم الثانوي سنة 1966.

كان الأستاذ موسى لقبال أحد المعيدين المتميزين بهذا المعهد، فعرف بسلوكه الملتزم ومستواه العلمي المحترم، وهذا ما شجعه على استكمال مشواره العلمي، فلم تثنه متطلبات التدريس ولا مشاغل الحياة بالجزائر العاصمة عن تحضير رسالته الجامعية الأولى لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ مع أستاذ الجيل الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة (ت. 1977) الذي عمل بالجزائر من 1963 إلى 1967، وكان موضوع رسالته: المغرب العربي من بناء معسكر القيروان حتى انتهاء ثورات الخوارج؛ ثم واصل دربه العلمي تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المنعم ماجد المتخصص في الدراسات

الفاطمية والذي علم هو الآخر بالجامعة الجزائرية (1967-1970)، فحضر عليه شهادة دكتوراه الدور الثالث في مسألة الحسبة في المغرب الإسلامي؛ وبعد سنوات توج نشاطه العلمي بالحصول على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بدراسته المتميزة حول دور قبيلة كتامة.

كان أول لقائي بالفقيد في إحدى أمسيات شهر نوفمبر سنة 1963، عندما التحقت بمعهد الدراسات العربية العليا بالجزائر العاصمة، دخلت يومها القاعة متأخرا وجلست في آخر القاعة أستمع إليه وهو يلقي محاضرة في تاريخ مصر الفرعونية، فرأيت فيه شابا متحمسا معتزا بثقافته يمتلك زمام اللغة العربية، ويحاول جاهدا أن يوصل المعلومات إلى طلبته بإلقاء مسترسل وبطريقة متدرجة وأسلوب مشوق.

وكان آخر لقائي به في الصائفة الماضية (منتصف شهر جويلية 2008) في رواق مصلحة البحث العلمي بالطابق الثالث من بناية الجامعة المركزية، فراعني منظره وقد أخذ منه الضعف والوهن أيما مأخذ، وبدت علامات المرض واضحة عليه، لكن الابتسامة لم تغادر محياه ولطف حديثه وبشاشته لا زالت تطبع سلوكه، تبادلنا التحية وتجاذبنا أطراف الحديث برهة ثم افترقنا على أمل اللقاء، ولم أدر أنه آخر لقاء به بعد أن ودع هذه الحياة إلى دار البقاء...

إن الأستاذ د. موسى لقبال لم يكن أستاذا عاديا أدى واجبه ومضى وأنهى مهمته ورحل؛ لقد كان رحمه الله كاتبا ومحاضرا مفوها ومناقشا متمرسا من المستوى الرفيع، جمع المعارف الفقهية إلى الثقافة الأدبية والتاريخية، تشرب تراث الحضارة العربية الإسلامية، وحاول إيصالها إلى الجيل الجديد من الباحثين، مقلدا في ذلك الجيل الأول من أساتذة التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة الذين تتلمذ عليهم وتأثر بهم أمثال الأساتذة الدكاترة: إبراهيم طرخان (ت. 1985)، وإبراهيم العدوي، وأحمد شلبي (ت. 2000)، والسيد

الباز العويني (ت. 1969)، وجمال الدين سرور، ومحمد مصطفى زيادة (ت. 1968)، وغيرهم كثيرون.

لقد ألزم المرحوم نفسه بتخريج العديد من طلبة الدراسات العليا في تاريخ المغرب الإسلامي، فكان يرى فيهم تجديدا لجهده الأكاديمي واستمرارا لرسالته العلمية وهذا ما أكده لي عندما سألته مرة عن نشاطه العلمي وعن الجديد لديه في البحث والتأليف، فكان جوابه أن اهتمامه وجهده منصب بالدرجة الأولى على طلبته الذين يحضرون رسائلهم الجامعية تحت إشرافه، وكأنه أراد بهذا الجواب أن يفهمني بأنه وإن أعطى للتأليف حقه إلا أنه يفضل تكوين الرجال على تصنيف الكتب شأنه شأن الرعيل الأول من رجال الإصلاح بالجزائر، وبالفعل تخرج عليه في فترة تناهز الأربعين سنة أعداد كثيرة من طلبة الدراسات العليا الذين أصبح العديد منهم أساتذة في أقسام التاريخ بالجامعات الجزائرية.

ومع ذلك فإن مهام الإشراف والتدريس لم تحل دون حضور الأستاذ موسى لقبال في الساحة العلمية، فساهم بالعديد من الكتابات التاريخية في دائرة اختصاصه وفي مجال اهتماماته، فأثرى المكتبة التاريخية بكتب ومقالات تميزت بالعمق في التحليل والدقة في المعالجة والوضوح والسلاسة في الأسلوب، نذكر منها من التآليف الكتب التالية:

1. المغرب العربي من بناء معسكر القيروان حتى انتهاء ثورات الخوارج، مطبعة البعث، قسنطينة، 1969.

2. الحسبة المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

3. دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس (الحادي عشر الميلادي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

4. الفتح الإسلامي، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي)، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

5. التيسير في أحكام التسعير، لأحمد سعيد المجيلدي، تقديم وتحقيق وتعليق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

6. عقبة بن نافع، أساس الفهريين وتأصيل مجتمع مغاربي جديد في أرض المغرب العربي، إصدارات رابطة إبداع الثقافة.

ومن المقالات نذكر:

1. طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، العدد الخاص بتاريخ باتنة والأوراس.

2. طبنة في مجال العلاقة بين زناتة والفاطميين حتى نهاية عصر المنصور الفاطمي، مجلة حوليات جامعة الجزائر، عدد 6/ 1992، ص ص 31-42.

3. طبنة بين ماض حافل وعريق وحاضر متواصل وغريب، قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في المغرب الإسلامي، مجلة حوليات جامعة الجزائر، عدد 5/ 1991، ص ص 91-102.

وإذا تجاوزنا هذه المساهمة العلمية التي تظهر جانب العطاء في مسيرة الأستاذ د. موسى لقبال، فإن الجانب الإنساني فيه جدير بالتقدير والتنويه، فقد آثر الأستاذ د. موسى لقبال حياة البساطة والانسحاب من الحياة العامة لتجنب المواقف السياسية والنشاط الجمعوي، كما فضل أن تظل علاقاته ومعاملاته محصورة في خصوصيات حياته ومهمته التربوية ورسالته العلمية،

مما أثر على حضوره على الساحة الثقافية، ولعل ذلك يعود إلى عوامل النشأة وأسلوب التعامل والنظرة للحياة، بعد أن خبر ذلك عند توليه رئاسة قسم التاريخ (1973-1975) أو أثناء عضويته في البرلمان الجزائري في نهاية السبعينات، ففضل بعد حصوله على تقاعد عضوية البرلمان أن يظل أستاذا مشاركا بقسم التاريخ وأن يواظب على إلقاء المحاضرات والإشراف على الرسائل باعتبار ذلك واجبا مهنيا ومهمة علمية.

لقد عرف الفقيد بهذا السلوك كيف يحافظ على مكانته ويحفظ كرامته ويظل مخلصا لقناعاته، وقد فرض عليه هذا الموقف نوعا من التحفظ في السلوك، ولعل هذا ما جعله في أغلب الأحيان يحجم عن النقاش وينفر من كل حوار لا يرى منه فائدة ، وقد ساعده على هذا الموقف ميله الفطري إلى العزلة وشعوره الحاد بكرامته واعتزازه بنفسه، فتجنب الخوض في المهرجانات و النشطات الثقافية و آثر أن يقنع بالقليل وأن يتخلى في بعض الأحيان عن حقوقه و يتنازل عن مستحقاته إذا أحس بأن ذلك قد يفرض عليه موقفا قد يمس بكرامته .

إن تعاملي مع الفقيد لسنوات طويلة واحتكاكي به أثناء تولي إدارة معهد التاريخ في الثمانينات، جعلني أقدر فيه إحساسه بكرامة الأستاذ وعزة العلم ومكانة الجامعة، وإيمانه الراسخ بالقيم العربية الإسلامية عقيدة ولساننا وإحساسا ، فهو لا يجامل فيها صديقه ولا يخفيها عن عدوه، يفصح عنها في كتاباته ويجاهر بها في مجالسه ويؤكدها في حديثه، كل ذلك في لين عريكة وطيبة سلوك وحسن خلق. و لقد كان لهذه المواقف النبيلة دخل في صعوبة تأقلمه مع وسط متفاعل مع الثقافة الغربية ، و لعل هذا ما اضطره في أول حياته الجامعية أن يتحول إلى قسنطينة للتعليم بالسنة التحضيرية الجامعية (1967) قبل أن يعود إلى جامعة الجزائر ليكمل مشواره العلمي، ويفرض حضوره بقسم التاريخ، ويساهم بجانب زملائه من أساتذة التاريخ الوسيط

أمثـال عطـاء الله دهينـة ورشـيد بورويبـة رحمهمـا الله، وعبـد الحميـد حاجيات وإبـراهيم فخـار ، في تكـوين الجيـل الجديـد مـن مـؤرخي الفـترة الإسلامية في الجزائر .

حقا لقد فقدت أسرة التاريخ الجزائري بوفاة الأستاذ موسـى لقبـال أحـد روادها الذين تركـوا بصـماتهم فيمـا كونـوه مـن طلبـة وألفـوه مـن كتـب وساهموا به من مشاريع علمية، وهذا ما يبقي مساهمته حية وصورته مشرقة في ذاكرة زملائه وطلبته ومحبيه. جعل الله ذلك في ميزان حسناته وجـزاه عـن ذلك خير الجزاء في دار الخلد والبقاء.

ناصر الدين سعيدوني

الكويت في 9 **أبريل** 2009.

دور قسم التاريخ
في إعداد وتأطير طلبة ما بعد التدرج

إعداد محمد ودوع

يقوم قسم التاريخ إلى جانب دوره في إعداد طلبة التدرج بدور كبير في إعداد وتأطير عدد كبير من طلبة مابعد التدرج (الماجستير والدكتوراه)، وهي مهمة ليست سهلة بالنظر الى العدد الهائل من الطلبة الذين يتحصلون على شهادات مابعد التدرج كل سنة وكذا والظروف المحيطة بعملية التأطير في جميع جوانبها، حيث يسعى قسم التاريخ جاهدا لتغطية الفراغ الذي تشكو منه الجامعات الجزائرية في مجال التأطير، وهذه قائمة بأسماء طلبة الماجستير والدكتوراه وعناوين مذكراتهم ورسائلهم على التوالي التي ناقشوها خلال السنة الدراسية 2010/ 2011.

1- **قائمة الطلبة الذين ناقشوا الماجستير لسنة** 2011/2010:

الرقم	لقب وإسم الطالب	الموضوع	تاريخ المناقشة	التخصص
01	حميد قريتلي	البعد الديني في السياسة الفرنسية في الجزائر (1830-1907)م	05/ 01/ 2011	حديث ومعاصر
02	امحمد قرود	الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في	19/ 01/ 2011	حديث ومعاصر

		القرن 11 هـ/ 17م		
03	أحمد يسعد	ثقافة الهند من خلال أبي الريحان البيروني (440هـ/ 1048م)	2011 /01 /16	وسيط
04	محمد وقاد	جماعة بنو ميزاب ودورهم في تنشيط الاقتصاد في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني	2011 /01 /25	حديث ومعاصر
05	الطيب مختاري	اللجنة الإفريقية (1833-1834م)	2011 /02 /09	حديث ومعاصر
06	فيصل مبرك	الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى وأثرها على تاريخ الدولة السعدية (1603-1613م)	2011 /02 /10	حديث ومعاصر
07	عائشة دباح	تفاعل السلطة مع القوى الدينية في عهد المولى اسماعيل في المغرب الأقصى في الفترة 1672-1727م	2011 /02 /10	حديث ومعاصر
08	أحمد سعودي	حرب الريف 1921-1926 من خلال مجلة المنار القاهرية	2011 /02 /16	حديث ومعاصر
09	أحمد مسعودي	الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية	2011 /03 /02	حديث ومعاصر

		منها 1792-1830م		
10	يوسف خياط	الدولة البيزنطية من النشوء حتى عهد جستنيان 284-565م	2011 /02 /23	قديم
11	كايسة بولجنت	العادات والتقاليد في منطقة الزواوة من خلال المخطوط في العهد العثماني	2011 /03 /06	حديث ومعاصر
12	خميسي سعيدي	معتقل الجرف بالمسيلة أثناء الثورة التحريرية	2011 /03 /10	حديث ومعاصر
13	عبد الرزاق قشوان	السلطة المحلية في بايلك قسنطينة 936-1253هـ/ 1592-1837م	2011-03-16	حديث ومعاصر
14	نوارة شاعفة	دور العبيد في روما: من فترة 55-54	2011 /04 /06	قديم
15	رشيد مريخي	الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا 1212-1220هـ/ 1798-1805م	2011 /04 /07	حديث ومعاصر
16	لطيفة حمصي	المجتمع والسلطة القضائية: المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1122-1246هـ/ 1710-1830م	2011 /04 /11	حديث ومعاصر

17	صـــــبرينة لنوار	مؤسسة بيت المال ودورها الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر خلال العهد العثماني	2011 /04 /12	حديث ومعاصر
18	نورة عمران	رجال المال والأعمال الأجانب في المقاطعات الإفريقيـــة الرومانيـــة 146ق.م-285م	2011 /04 /13	قديم
19	سمـــــير العيداني	الحياة الدينية في شمال شبه الجزيرة العربية 1200ق.م-600م	2011 /04 /14	قديم
20	عبد العزيز شاكر	التطور السياسي لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف 500هـ/ 537هـ	2011 /04 /18	وسيط
21	نادية زروق	سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في شمال إفريقيا: الجزائر نموذجا 1870-1900م	2011 /04 /20	حديث ومعاصر
22	صـــــليحة بوزيد	الوقف الذري في مدينة الجزائر خلال القرن 18 بين الشريعة والممارسة	2011 /04 /23	حديث ومعاصر
23	سمـــــاعين عمارة	الآثار السياسية للهجرة الهلالية في المغربين الأدنى والأوسط من سنة	2011 /04 /25	وسيط

		هـــــــ443-1052م إلى 543هـ/ 1152م		
24	منصـــــور رباح	الفلسفة وموقف السلطة المرابطية منها	2011 /04 /26	وسيط
25	ســـــلوى لهلالي	دور النـــواب المســـلمين الجزائريين	2011 /04 /30	حديث ومعاصر
26	مراد ريغي	حـــروب صـــقلية بـــين القرطـاجيين والإغريـق في 580-246 ق.م	2011 /05 /29	قديم
27	فتيحـــــة صحراوي	الجزائـــر في عهـــد الـــداي حسين 1818-1830م	2011 /05 /11	حديث ومعاصر
28	عبد القادر حليس	المشرق العربي من خـلال الرحلات المغاربية (رحلـة المقري-رحلـة العياشـي-رحلـة الـورتلاني 11هـــ-12هـ/ 17-18م) نموذجا	2011 /05 /25	حديث ومعاصر
29	عـــــامر زناتي	ثورة محمد أحمد المهـدي في السودان 1881-1885م	2011 /06 /02	حديث ومعاصر
30	عبد العزيز حاج كولة	الحيـــــاة الاجتماعيـــــة والاقتصادية بالأندلس من خلال النـوازل الفقهيـة في القرنين 5-6هـ/ 12م	2011 /06 /07	وسيط
31	بلقاســـــم	مملكة بني هود في الثغر الأعلى	2011 /06 /08	وسيط

	بواشرية	أيام الطوائف والمرابطين بالأندلس 431هـ/ 1039م-524هـ/ 1131م		
32	ليلى غويني	التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية	2011 /07 /02	حديث ومعاصر
33	سحنون شرايف	دراسة منوغرافية لحوض الشلف في العهد الروماني 40-429م	2011 /07 /03	قديم
34	نسيم نوار	النزاع السني – الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد المذهب المالكي	2011 /07 /03	وسيط
35	كريمة نور الدين	سياسة آل برقة والحوض الغربي للبحر المتوسط 241-183 ق.م	2011 /07 /04	قديم
36	خالد حمون	دور الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في إيقاف الزحف الصليبي بالأندلس 479هـ-500هـ/ 1086م-1106م	2011 /07 /04	وسيط
37	حفيظة العياضي	التشكيلة البشرية للطاسيلي ناجر منذ ما	2011 /07 /06	قديم

		قبل التاريخ إلى غاية العصور التاريخية		
38	خالد شارف	الخزر بين القرنين 7 و9 م/ 1 و3 هـ	2011 /07 /03	وسيط
39	حفيظة معمر	صورة السودان الغربي في المصادر المغربية	2011 /07 /04	حديث ومعاصر
40	مروان بوزكري	التنافس الفرنسي-الإنجليزي على المغرب الأقصى فيما بين 1873-1905م	2011 /07 /07	حديث ومعاصر
41	مالية بصال	المستوطنات اليمنية ودورها الحضاري في وسط وشمال الجزيرة العربية	2011 /07 /06	قديم
42	علجية مقيدش	البعد المغاربي للطريقة الدرقاوية ومواقفها من السلطة المركزية والاحتلال الأوروبي	2011 /07 /06	حديث ومعاصر
43	المختار ولد محمد	الطرق الصوفية في موريطانيا ومواقفها من الاستعمار الفرنسي	2011 /07 /07	حديث ومعاصر
44	حياة سيدي صالح	اللجان البرلمانية الفرنسية وقضايا الجزائريين 1871-1895م	2011 /07 /10	حديث ومعاصر

45	أحمد رقاد	التعددية الدينية في شبه الجزيرة العربية بين الوثنية والتوحيدية	2011 /07 /10	قديم
46	فاتح بوفرولة	الظهير البربري في المغرب الأقصى من خلال مجلة المنار (1930–1934)م	2011 /07 /10	حديث ومعاصر
47	العربي بوبكر	امبراطورية تيمورلنك: النشأ/ التوسع/ النتائج	2011 /07 /10	وسيط
48	فهيمة سعودي	حملات الملك لويس التاسع على العالم الإسلامي 1248–1270م	2011 /07 /09	وسيط
49	صباح علة	المعتقدات الدينية القرطاجية: 814 ق.م–264 ق.م	2011 /07 /10	قديم
50	عثمان منادي	الحياة العلمية في حواضر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا بين القرنين 8 و10هـ/ 14و16م	2011 /09 /18	حديث ومعاصر
51	عاشور قويدر	تفاعل العلماء والمثقفين بالسلطة في طرابلس الغرب خلال القرن 18 و19م	2011 /09 /21	حديث ومعاصر
52	حمداني محمد علي أمين	حركة عموم إفريقيا بين 1900–1963م: الرواد والمؤتمرات	2011 /09 /21	حديث ومعاصر

53	يوسف سليماني	تطور الحركة الوطنية بأوغندة واسترجاع الاستقلال (1945-1962م)	2011 /09 /25	حديث ومعاصر
54	نوي بن مبروك	الاحتلال الفرنسي لتشاد: 1890-1920م	2011 /09 /26	حديث ومعاصر
55	أحمد جعفري	جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمملكة وادي خلال حكم السلطان صابون: 1803-1813م	2011 /09 /28	حديث ومعاصر
56	امحمد يزير	عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره 1876-1944م	2011 /09 /27	حديث ومعاصر
57	عبد الكريم مغاوري	العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى ومصر خلال العصور الحديثة: 1492-1822م.	2011 /09 /27	حديث ومعاصر
58	جمال الدين عمراوي	الاستعمار البريطاني وحركة التحرر في زمبابوي إلى غاية استرجاع الاستقلال	2011 /09 /28	حديث ومعاصر
59	حفيظة بوتوقوماس	الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني: 1117هـ/ 1705م-1246هـ/ 1830م	2011 /09 /28	حديث ومعاصر

60	محمد نصير	انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب خلال القرن 4و5هـ/ 10م-11م	2011 /09 /29	وسيط
61	نصيرة نواصر	مواقف تونس والمغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر: 1830-1847م	2011 /10 /02	حديث ومعاصر
62	لامية وادي	دولة المماليك في عهد السلطان ناصر محمد ابن قلاوون 693-741هـ/ 1293-1341م	2011 /10 /05	وسيط
63	حفيظة بن دحمان	رأي محمد بيرم الخامس في الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال كتابه: صفوة الاعتبار لمستودع الأمصار والأقطار	2011 /10 /10	حديث ومعاصر
64	عبد الرحمان عمار	الثورة الجزائرية من خلال الصحافة التونسية جريدة الصباح نموذجا 1954-1956م	2011 /10 /30	حديث ومعاصر
65	عبد الرحمان قراش	التنافس الاستعماري على القرن الافريقي 1862-1899م	2011 /11 /02	حديث ومعاصر
66	سعيد زهار	صورة الحركة الوطنية في الصحافة الاستعمارية بين	2011 /11 /02	حديث ومعاصر

		1919-1939م من خلال جريدة ليكو دالجي		
67	سعيدة صدوق	محمد البشير الابراهيمي في المشرق العربي في القرن الـ20 1911-1920/ 1952-1962م	2011 /11 /10	حديث ومعاصر
68	أحمد جلايلي	إسلام مغول مملكة تركستان (جغطاي) 624-808هـ/ 1227-1405م	2011 /11 /16	وسيط
69	مسعود عوادي	دور الرحلات التونسية والجزائرية في استكشاف الفكر الأوروبي ونقله إلى المغرب العربي خلال القرن الـ19	2011 /11 /19	حديث ومعاصر
70	أحمد بن خيرة	دور المغاربة في الحروب الصليبية	2011 /11 /20	وسيط
71	كريمة حدوش	تجارة مملكة سبأ على ضوء كتب الرحالة ودوره الحضاري	2011 /11 /04	قديم
72	أحمد شنتي	القضية الفلسطينية من خلال جريدة الشعب الجزائرية 1962-1967م	2011 /11 /22	حديث ومعاصر
73	ريمة مليزي	قرطاجة والبحر (814 ق.م-146 ق.م)	2011 /11 /22	قديم

2- **قائمة رسائل الدكتوراه التي نوقشت خلال السنة الدراسية** 2011/2010:

الرقم	اسم الطالب	عنوان الرسالة	تاريخ المناقشة	التخصص
1	كرليل عبد القادر	تدويل القضية الجزائرية وانعكاساتها على المفاوضات الجزائرية الفرنسية 1962-1955		حديث ومعاصر
2	عقيب محمد السعيد	الحزب الحر الدستوري التونسي "القديم" (1956-1934)	2011 /02 /03	حديث وعاصر
3	يعيش محمد	المهاجرون الجزائريون في المغرب ودورهم في الحركة الوطنية والثورة	2011 /04 /13	حديث ومعاصر
4	الخروصي صالح بن عامر حارث	عمان في عهد الامام سعيد بن أحمد والسيد سلطان بن أحمد (1804-1783)	2011 /05 /04	حديث وماصر
5	أحمد	قضايا ومسائل في	2011 /05 /29	حدي

	مسعود سيد علي	المجلس لبوطني للثورة الجزائرية		ومعاصر
6	دهاش الصادق	المشوع التحرري الوحدوي لحركة الجامعة الاسلامية في بلاد المغرب العربي	04/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
7	فشار عطاء الله	النخبة الجزائرية جذورها تطورها، اتجاهتها	21/ 06/ 2011	حديث ومعاصر
8	اولاد سيدي الشيخ عبد الرحمن	الحركة الوطنية الاستقلالية في العراق نشاتهاوتطورها 1920-1945م	04/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
9	هيصام موسى	المذهب السني في المغربين الادنى والاوسط 296-547	10/ 07/ 2011	وسيط
10	فراد محمد ارزقي	المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الالامية 1749-1949	07/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
11	غرداوي نورالدين	كتاب الجامع للقاضي ابي		وسيط

		زكريـــايحي بـــن موسى بن عيسى المغيلـي المـازوني المتـــوفي ســـنة 1478-883		
12	طاعـــــة سعيد	دور النـــــواب المسلمين في الحيـاة النيابيــة بــالجزائر 1956-1947	2011 /10 /31	وسيط